حوليـــــة كليـــــة الـــــدعوة الإســـــلامية

قصة أصحاب الفيل
دراسة دعوية

إعداد
د/ رقية بنت نصر الله محمد نياز
أستاذ الدعوة والاحتساب المشارك
بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن – الرياض

ملخص البحث:

في هذا البحث بيان للدروس الدعوية المتنوعة والكثيرة في "حادثة الفيل" ، هذه الدروس والفوائد وإن كانت مسجلة في حق غير المخاطبين بالدعوة الإسلامية، إلا أن معانيها وأهدافها دللت عليها مصادر الدعوة المختلفة، بل وما نزلت وحياً إلا لتصل إلى كل الناس، لتكون منهجاً عالمياً، ودستوراً للدعوة الإسلامية الخاتمة.

وأشتمل البحث على مدخل أساسي فيه سبب تسمية الحادثة ونسبتها إلى "الفيل"، ثم أحداث القصة بصورة مفصلة كما جاءت في المصادر الإسلامية المعتمدة، وكانت في ثلاث مطالب على النحو التالي:

- **المطلب الأول: حادثة الفيل في القرآن الكريم.**
- **المطلب الثاني: حادثة الفيل في الحديث النبوي الشريف الصحيح.**
- **المطلب الثالث: حادثة الفيل في كتب السير والتاريخ.**

القسم الثاني: في بيان الفوائد والدروس الدعوية:

هذا القسم هو مقصود الدراسة وأساسها، حيث احتوى على فوائد ودروس دعوية لم اعتمد فيها منهجاً معيناً أثناء كتابتها، بل تم سردها حسب وقائعها في القصة قدر المستطاع.

الكلمات الدالة:

قصة-أصحاب-الفيل

مقدمة في
بيان أهمية البحث، سبب اختياره

إن الحمـد للـه نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره ونعـوذ باللـه مـن شـرور أنفسـنا ومـن سـيئات أعمالنـا، ومـن يهـده اللـه فـلا مضـل لـه، ومـن يضـلل فـلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وحـده لا شـريك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣)

أما بعد:

فـإن مـن فضـل اللـه علـى هـذه الـدعوة الخاتمـة أن أتـاح لهـا مصـادر راسـخة تسـتقي منهـا منهجهـا العـام والخـاص، وتبنـي عليهـا قواعـدها وأسسـها، لكـي تبقـي الـدعوة علـى أصـالتها، وتضـمن للـدعاة طريقـاً أصـيلاً، بعيـداً عـن التكهنـات، والعشـوائية القبيحـة التـي تعمـل علـى تشـويه صـورة الـدعوة، وتطفـئ نورها العظيم.

ولقـد سـطرت "حادثـة الفيـل" المـذكورة فـي المصـادر الإسـلامية الأصـيلة المتعـددة فـي ثناياهـا مـادة دعويـة مهمـة عملـت علـى إثـراء مجـال الـدعوة

---

١ – سورة آل عمران : الآية/ ١٠٢

٢ – سورة النساء : الآية/ ١

٣ – سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

الإســـلامية، حيـــث حملـــت دروســـاً حيويـــة، وعناصـــر مـــؤثرة، ناقشـــت العقل،وخاطبـت الوجـدان، وأحيـت الفطـرة السـليمة، وبينـت نهايـة الظلـم وعاقبـة الظالمين،وراعـت تنـوع الناس،وحملـت الآيـات والعبـر فـي قوالـب محسوسـة، فصارت إلى مواقع التأثير أقرب، والقبول أضمن وأقوى.

وهـي وإن كانـت قبـل البعثـة، إلا إنهـا جـاءت لتـؤدي دوراً مهمـاً فـي إحـداث العبـر والعظـة، شـأنها فـي ذلـك شـأن كـل قصـص القـرآن، كمـا بـين ذلـك سبحانه في قوله: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ (١).

وبـذلك حملـت هـذه الحادثـة ملامـح القصـة القرآنيـة والنبويـة فـي بيـان مبـادئ الـدعوة وقواعـدها وأصـولها، وعرضـتها بصـورة واضـحة، وأرشـدت إلـى أركانهـا، مدللـة عليهـا بصـورة مباشـرة، وغيـر مباشـرة، مثيـرة حـس الداعيـة إلـى اللـه ملفتـة أنظاره إليها، ليحولها بعد ذلك إلى واقع يمكن تطبيقه وتنفيذه.

إنَّ الـدروس الدعويـة المتنوعـة والكثيـرة فـي "حادثـة الفيـل" لا تخـرج فـي توضـيحها وبيانهـا عمـا سـطرتها مصـادر الـدعوة الأصـيلة، هـذه الـدروس والفوائـد وإن كانـت مسـجلة فـي حـق غيـر المخـاطبين بالـدعوة الإسـلامية، إلا أن معانيهـا وأهـدافها دللـت عليهـا مصـادر الـدعوة المختلفـة، بـل ومـا نزلـت وحيـاً إلا لتصـل إلـى كـل النـاس، لتكـون منهجـاً عالميـاً ودسـتوراً للـدعوة الإسلامية الخاتمة.

ولهـذا قامـت دراسـات مختلفـة لاسـتخراج هـذه الـدروس وتنوعـت المسـالك والطرق، وكشفت النقاب عن معاني متعددة.

---

١ – سورة يوسف: الآية/ ١١١

وما زالت هذه الدروس تتجدد في كل عصر، وكأنها بكراً لم يقع عليها عين أحد. نعم سيظل القرآن، والسنة، والسيرة الصحيحة، المصادر الثرية للدعوة الإسلامية للاحتكام إليها في كل شؤونها.

ومن هذا الباب كانت لي هذه المحاولة المتواضعة في حادث الفيل مع وجود أسباب أخرى أوجزها في الآتي:

أولاً: حادثة الفيل شاهد عظيم، ودليل باهر، وآية قوية على تأسيس الدعوة الإسلامية ومجئ الرسالة المحمدية، وفي صدد بيان ذلك يقول الإمام الماوردي: " آيات الملك باهرة، وشواهد النبوات قاهرة، تشهد مباديها بالعواقب فلا يلتبس فيها كذب بصدق، ولا منتحل بمحق، وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشائرها وإنذارها، ولما دنا مولد رسول الله صلى الله عليه تقاطرت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأناً، وأظهرها برهاناً، وأشهرها عياناً وبياناً، أصحاب الفيل..."(١).

ثانياً: قصة أصحاب الفيل ذكرت في أصدق الوثائق التاريخية، وأحسنها، حيث أوجزها القرآن الكريم في سورة من سوره، وأشارت إليها سنة المصطفى ﷺ، وذكرتها الروايات الطويلة المعتمدة في كتب السير والتاريخ، ومعلوم أن الدعوة تحتاج إلى مراجع دقيقة لا تناقض فيها، ليستمد منها الداعية الخطوط العريضة، ليحولها بعد ذلك إلى واقع عملي، وخير ما يقدم للداعية ذلك هذه المصادر.

ثالثاً: جاءت حادثة الفيل في صورة القصة، ومعلوم ما للقصة من أثرها الفعال في نفوس المدعوين، كونها تتناسب والفطرة التي فطروا

١ – نقلاً عن: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل/ للقاسمي (٦٢٦٦/١٧)

عليهـا، حيـث يميـل إليهـا الصـغار والكبـار، الـذكور والإنـاث، الجاهـل والمتعلم....الخ.

رابعاً: غـزارة الفوائـد الدعويـة فـي حادثـة الفيـل وشـمولها لكـل أطـراف الـدعوة وأركانهـا، حيـث خرجـت بمـا فـتح اللـه علـي مـن دلالات واسـتنتاجات بدروس للداعية، والمدعو،والوسائل والأساليب، ومواضيع للدعوة.

خامسـاً: إمكانيـة ربـط الواقـع المعاصـر بهـذه الـدروس ممـا يزيـد مـن مكانتهـا، ويقوي من أثرها.

سادســاً: كثـرة المراجـع لهـذه الحادثـة، ممـا يعطـي للباحـث مسـاحة أكبـر للإطلاع والبحث، وهذا يعد غنيمة لكل باحث يسعى للرقي بفكره.

هـذا كنـت أهـدف مـن هـذه الدراسـة إلـى تقـديم دروس وفوائـد دعويـة مـن (حادثـة الفيـل) معتمـدة فـي ذلـك علـى كتـاب اللـه تعـالى، وسـنة رسـوله ﷺ ومـنهج السـلف الصـالح. لتكـون نبراسـاً للداعيـة عنـد الأخـذ بأيـدي المـدعوين إلى طريق النجاة.

وقـد اتبعـت فـي هـذه الدراسـة المـنهج الاسـتدلالي الاسـتنباطي، ذلـك لأن طبيعيـة البحـث تحـتم البـدء بالقضـايا الكليـة المسـلم بهـا، ثـم الوصـول إلـى قضـايا جزئيـة أخـرى ، وذلـك باسـتخدام العمليـات العقليـة، والتأمـل الـذهني، دون الحاجة إلى إجراء فحوصات وتجارب دراسية ميدانية .

وبفضل الله تعالى سارت الدراسة بتقسيمات محددة كانت على النحو التالي:

المقدمة

وكانـت فـي بيـان أهميـة الموضـوع، وسـبب إختيـاره، ثـم فـي بيـان الهـدف مـن البحـث، والمـنهج العلمـي المتبـع، مـع بيـان صـورة مـوجزة لخطـوات الدراسة.

ثم قسمت الدراسة إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: عبارة عن:

- **مبحث تمهيدي:** اشتمل على مدخل أساسي بينت فيه سبب تسمية الحادثة ونسبتها إلى "الفيل"، ثم ذكرت أحداث القصة بصورة مفصلة كما جاءت في المصادر الإسلامية المعتمدة، وكانت في ثلاث مطالب **على النحو التالي:**
  - **المطلب الأول:** حادثة الفيل في القرآن الكريم.
  - **المطلب الثاني:** حادثة الفيل في الحديث النبوي الشريف الصحيح.
  - **المطلب الثالث:** حادثة الفيل في كتب السير والتاريخ.

القسم الثاني: في بيان الفوائد والدروس الدعوية:

هذا القسم هو مقصود الدراسة وأساسها، حيث احتوى على فوائد ودروس دعوية لم اعتمد فيها منهجاً معيناً أثناء كتابتها، بل تم سردها حسب وقائعها في القصة قدر المستطاع.

هذا وأسأل ربي المنان أن أكون في تقديم هذا الجهد المتواضع قد أسهمت بتقديم شيء لديني، ودعوتي، وعلمي اللهم آمين .

القسم الأول:

توثيق القصة كما وردت في مصادرها المختلفة

مدخل:

تعد أحداث هذه القصة من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث الرسول ﷺ، فإنه ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال [١].

وقد سميت القصة بـ "الفيل" وأضيفت إليه، واشتهرت به، لاصطحاب أبرهة ومن معه الفيل للبطش والتخريب، فإنه لو تم لقائديه كيدهم، لكان الفيل يدهم العاملة وسهمهم النافذ، وذلك أن جبابرة البلاد التي يوجد فيها الفيل يتخدونه آلة بطش وانتقام، فإذا غضبوا على محارب وأسروه، أو وزير وأوثقوه، أو بلد ونازلوا حصنها، أرسلوا على دار المغضوب عليه أوحصنه الفيل، فيدكه، فيكون أقصى من المعاول والفؤوس، وأعظم رعبا ورهبة في النفوس، أو يلقوا المسخوط عليه بين يديه، فيعمل فيه بنابه ويلف عليه خرطومه، حتى يمثل به تمثيلاً، يكون أشد بطشاً وتنكيلاً [٢].

وأحداث هذه القصة ذكرتها مصادر عديدة [٣]، مطولة، وملخصة، رتبتها تحت **المطالب الثلاثة التالية:**

- **<u>المطلب الأول:</u>** حادثة الفيل في القرآن الكريم.
- **<u>المطلب الثاني:</u>** حادثة الفيل في الحديث النبوي الشريف الصحيح.
- **<u>المطلب الثالث:</u>** حادثة الفيل في كتب السير والتاريخ المعتمدة.

---

١ – انظر: تفسير القرآن العظيم/ للحافظ ابن كثير (٥٤٩/٤).

٢ – انظر: تفسر القاسمي المسمى محاسن التأويل/ لمحمد القاسمي (٦٢٦٥/١٧، ٦٢٦٦). مرجع سابق .

٣ – انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري / للحافظ ابن حجر (٥٥٣/٦).

المطلب الأول

حادثة الفيل في القرآن الكريم

أصدق مصدر لحادثة الفيل هو القرآن الكريم، وسميت الحادثة فيه بسورة (الفيل) [١] وقد ورد تسميتها في كلام بعض السلف بسورة (ألم تر)[٢] وذلك نسبة إلى أول جملة منها، وقد نزلت في مكة بالاتفاق [٣]، وعدت التاسعة عشرة في ترتيب السور [٤] ونزلت بعد سورة (قل يأيها الكافرون) وقبل سورة (الفلق) [٥]، أما حسب ترتيب المصحف فهي تلي سورة الهمزة، وتسبق سورة قريش، وتعد جميع آياتها محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ [٦].

أما عدد آياتها فهي خمس آيات إجماعاً، ولا اختلاف فيها [٧] وعدد كلمات السورة (٢٣) كلمة، وعدد حروف السورة (٩٧) حرفاً.

نص الحادثة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

" أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ "

---

١ – انظر: التحرير والتنوير/ لابن عاشور (٥٤٣/٣).

٢ – الجامع الصحيح المختصر/ للإمام البخاري (١٨٩٩/٤).

٣ – انظر: الجامع لأحكام القرآن / للإمام القرطبي (١٨٧/٢).

٤ – انظر: التحرير والتنوير / لابن عاشور (٥٤٣/٣).

٥ – انظر: تنزيل القرآن/ لابن شهاب الزهري (ص ٢٤)

٦ – انظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم / لابن حزم الظاهري (ص ٦٧) والناسخ والمنسوخ / لابن سلامة المقري (ص ٢٠٤).

٧ – انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور / للبقاعي (٢٤٩/٣).

المطلب الثاني

قصة حادثة الفيل في الحديث النبوي الشريف

يـراد بالحـديث النبـوي كـل مـا أثـر عـن النبـي ﷺ مـن أقـوال، وأفعـال، وتقريـرات، وقـد قامـت السـنة بـدورها مـع القـرآن الكـريم فـي بيـان أمـور الـدعوة الإسلامية ووضع مناهجها وقواعدها.

ولقـد وردت أحاديـث عديـدة فـي شـأن الفيـل، أذكـر منهـا الصـحيح الـذي رواه الإمـام البخـاري ومسـلم ، وفـي هـذه الأحاديـث أشـار النبـي ﷺ إلـى القصـة إشـارة، دون ذكـر تفصـيلات لأحـداثها، إلا أن العلمـاء المعتبـرين الـذين اشـتغلوا بشـرح السـنة المطهـرة ألهمـوا روائـع البيـان، حـين أخـذوا فـي تفسـيرها، وقد استفدت منهم عند تقرير بعض الدروس والفوائد الدعوية.

نص الحادثة كما جاءت في حديث الرسول ﷺ

أولاً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقوله: ((ثم لما فتح الله عز وجل على رسول الله ﷺ مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: " **إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها ولا يختلي شوكها ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يفدي وإما أن يقتل**"، فقال العباس: إلا الإذخر يا رسول الله، فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا. فقال رسول الله ﷺ: " **إلا الإذخر**" فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال: اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: "**اكتبوا لأبـــي شـــاه**" قـال الوليـد: فقلـت للأوزاعـي: مـا قولـه: "اكتبـوا لـي يـا

رسول الله" ؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول اله ﷺ)) [١].

ثانيـاً: ((عـن المسـور بـن مخرمـة ومـروان، يصـدق كـل واحـد منهمـا حـديث صـاحبه، قـالا:.... ثـم خـرج رسـول اللـه ﷺ زمـن الحديبيـة حتـى كـانوا بـبعض الطريـق قـال النبـي ﷺ: "إن خالـد بـن الوليـد بـالغميم فـي خيـل لقـريش طليعـة فخـذوا ذات اليمـين"، فواللـه مـا شـعر بهـم خالـد حتـى إذا هـم بقتـرة الجـيش فـانطلق يـركض نـذيراً لقـريش وسـار النبـي ﷺ حتـى إذا كـان بالثنيـة التـي يهـبط علـيهم منهـا بركـت بـه راحلتـه فقـال النـاس: حـل حـل فَأَلَحَّـت فقـالوا: خـلأت القصـواء خـلأت القصـواء، فقـال النبـي ﷺ: "**مـا خـلأت القصـواء ومـا ذاك لهـا بخلـق ولكـن حبسـها حـابس الفيل....**" [٢].

---

١ – انظر صحيح البخاري مع فتح الباري في كتاب : العلم، باب كتابة العلم، حديث ١١٢ (٢٠٥/١) وفي كتاب اللقطة، باب كيف تعّرف لقطة أهل مكة حديث ٢٤٣٤ (٨٧/٥) وفي كتاب الديات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، حديث ٦٨٨٠ (٢٠٥/١٢) ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلالها وشرجها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، حديث ١٣٥٥، ج(٢: ٩٨٨–٩٨٩). وابن الجارود في المنتقي من السنن المسندة . حديث ٥٠٨ (ص ١٣٤) وابن حبان في صحيحه، ذكر الزجر عن اختلاء شوك حرم الله جل وعلا والتقاط ساقطها إلا أن يكون المرء منشداً، حديث رقم ٣٧١٥(٢٨/٩) .

٢ – انظر: صحيح البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث ٢٧٣١، ٢٧٣٢ (٣٢٩/٥)، وابن حبان في صحيحه ذكر ما يستحب للإمام استعمال المهادنة بينه وبين أعداء الله... حديث ٤٨٧٢ (١١/ ٢١٨).

المطلب الثالث

حادثة الفيل في كتب السير والتاريخ

جاءت روايات عديدة في كتب السير والتاريخ لحادثة أصحاب الفيل، وقد اخترت من الروايات أكثرها تفصيلاً وابلغها سبكاً وهو ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق، وذلك لاعتبارات عديدة الخصها بما ذكره الإمام القاسمي عند تفسيره لسورة الفيل حيث قال: "وإنما آثرت في سياقها ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق، لأنه أحسن اختصاصاً، وأبلغ سبكاً، لإثارته عن صميم العربية روايات نبغاء رجالها، فرحمه الله ورضي عنه" (١).

هذا بالإضافة إلى رجوعي إلى مراجع أخرى من كتب السير والتاريخ عند الحاجة لذلك ، وقد استفدتُ منهم جميعاً، فجزا لله الجميع عن الإسلام خير الجزاء.

نص الرواية كما جاءت عند ابن هشام عن ابن اسحاق:

قال ابن هشام عن ابن اسحاق: "... ثم إن أبرهة بني القُلَّيْس بصنعاء، فبني كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشئ من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرف إليها حَجَّ العرب".

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل من النسَأَّة أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، (والنسأة: الذين كانون ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهر....).

---

١ – تفسير القاسمي، المسمى بمحاسن التأويل (٦٢٥٦/١٧)

قال ابن إسحاق: فخرج الكناني حتى أتى القُلَّيس، فقعد فيها- قال ابن هشام: يعني أحدث فيها- قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟

فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك: أصرف إليها حج العرب، غضب فجاء فقعد فيها أي أنها ليست لذلك بأهل.

فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه. ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب فأعظموه، وفظعوا به، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرابه.

فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهزم ذو نفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر، فأتي به أسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيها الملك لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي.

فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق. وكان أبرهة رجلاً حليماً.

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم: شهران، وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيراً، فأتي به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران وناهس، بالسمع والطاعة فخلى سبيله.

وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف.

قال ابن إسحاق: فقالوا له: أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد- يعنون اللات- إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه. فتجاوز عنهم.

واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة

قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس.

فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمت قريش وكنانة، وهذيل، ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها. ثم قال له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتتي به.

فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبدالمطلب بن هاشم، فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام- أو كما قال- فإنه يمنعه منه، فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه.

فقال له حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نفر –وكان له صديقاً– حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غداً أو عشياً ؟ ما عندي غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكمله بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي.

فبعث ذو نفر على أنيس فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن له وانفعه عنده بما استطعت.

فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك فليكلمك في حاجته. قال: فأذن له أبرهة.

قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم. فلما رآه أبرهة أَجَلَّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على مجلس بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان.

فقل: حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي.

فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتني! أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟!

قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربا سيمنعه قال: ما كان ليمتنع مني. قال أنت وذاك.

وكان -فيما يزعم بعض أهل العلم- قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة: يعمر بن نفاثه بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة -وهو يومئذ سيد بني بكر-وخويلد بن واثلة الهذلي -وهو يومئذ سيد هذيل- فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبي عليهم- والله أعلم أكان ذلك أم لا-

فرد أبرهة علي عبد المطلب الإبل التي أصاب له.

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شغف الجبال والشعاب، تخوفاً عليهم من معرة الجيش – أي شدته – ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاهمَّ إن العبد يمنع رحلة فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمر ما بدا لك

قال ابن هشام: هذا ما صح له منها....

قال ابن إسحاق: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو من معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله، وعبَّى جيشه، وكان اسم الفيل محموداً، وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذه بأذنه فقال: ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله

الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرح نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن لهم في مراقة فبزغوه بها -أي أدموه- ليقوم فأبى. فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك،ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر، أمثال الخطاطيف -طيور سود- والبلسان - الزرازير-، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، لا تصيب منهم أحدا إلا هلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل حين راى ما أنزل الله بهم من نقمته.

أين المفر والإله الطالب
والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن إسحاق: وقال نفيل أيضاً:

ألا حييت عنا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا
ردَينة لو رأيت فلا تريه لدى جنب المحصَّب ما رأينا
إذاً لعذرتني وحمدت أمري ولم تأسي على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيراً وخِفتُ حجارة تُلقى علينا
وكلِّ القوم يسأل عن نفيل كأنَّ عليَّ للحُبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلك، على كل منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة، أنملة كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدة تمث -أي تصيب-قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء

وهـو مثـل فـرخ الطـائر، فمـا مـات حتـى انصـدع صـدره عـن قلبـه، فيمـا يزعمون.

قـال ابـن إسـحاق: فلمـا بعـث اللـه تعـالى محمـدا ﷺ كـان ممـا يعـد اللـه علـى قـريش مـن نعمتـه علـيهم وفضـله مـا رد عـنهم مـن أمـر الحبشـة، لبقـاء أمـرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾ (١)(٢)

وفـي صـدد بيـان القيمـة التاريخيـة لهـذه الواقعـة علـق الفخـر الـرازي علـى هـذه الحادثـة بقولـه: " لا يمكـن أن يقـال إن قصـة أصـحاب الفيـل كسـائر الأحاديـث الضـعيفة، لأنـه لـم يكـن بـين عـام الفيـل ومبعـث النبـي ﷺ إلا أربعـون سـنة، ويـوم تـلا الرسـول ﷺ هـذه السـورة كـان قـد بقـي بمكـة جمـع شـاهدوا تلـك الواقعـة، ولـو كـان النقـل ضـعيفاً لشـافهوه بالتكـذيب، فلمـا لـم يكـن كـذلك علمنـا أنه لا سبب للطعن فيه ". (٣).

---

١ – سورة الفيل.

٢ – انظر: سيرة النبي ﷺ/ لأبي محمد عبد الملك بن هشام (١/٤٣-٥٥).

٣ – مفاتيح الغيب/ للفخر الرازي (١٦/٦٤٠).

القسم الثاني:

الفوائد والدروس الدعوية

أولاً: قدم العداء الصليبي :

الملفت للنظر في هذه القصة أن العداء المسيحي للعرب كان منذ القدم التاريخ، بل عدّ البعض أن "حادثة الفيل" أول حرب صليبية ضد العرب (١).

ولا شك في هذا، فأحداث القصة تبدأ حينما أرادت النصرانية ممثلة في "أبرهة الأشرم" ملك النصرانية (٢) في اليمن والذي كان ذا دين في النصرانية (٣)، تابعاً لمملكة الحبشة التي تدين بالولاء بدورها للسلطة النصرانية في الشام، لما غلب على اليمن وبني كنيسة "القُليس" (٤) علل بأن سبب البناء هو صرف حجاج العرب إليها، وكتب ذلك في وثيقة تاريخية مهمة للنجاشي ملك الحبشة قال فيها: "إني قد بنيت لك كنيسة لم يبنِ مثلها لملك كان قبل، ولست بمنته حتى أصرف إليها حجاج العرب"(٥).

إن هذا العمل في حقيقته يدل على وجود حركة تعسف وتعصب دينية كبيرة، ومنظمة أرادت النصرانية القديمة من خلالها تحويل عرب الجزيرة

---

١ – انظر: الموضوع في مجلة"منار الإسلام" العدد ٣ ربيع الأول ١٤١٦هـ، موسسة الأهرام– القاهرة. بقلم د. محمد أحمد ضرغام.

٢ –المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لأبي الفرج عبد الرحمن الملقب بابن الجوزي (١٢٩/٢).

٣ –انظر: تاريخ الطبري/ لمحمد بن جرير الطبري(١٢٩/٢) ط. الثانية. دار المعارف – مصر. وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل/ لمحمد جمال الدين القاسمي (٦٢٦١/١٧).

٤ –انظر: فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري/ لابن حجر العسقلاني (٢٠٧/١٢).

٥ –سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٤٣/١).

مـن بقايـا الحنيفيـة إلـى النصـرانية، متخـذة القـوة سـلاحاً لهـا فـي إرغـام النـاس على هذا التحول (١).

بـل إن اسـتقراء ومتابعـة التـاريخ يؤكـدان وجـود هـذا العـداء حتـى بعـد ظهـور الإسـلام، ولا يـزال هـذا التـراث العـدائي النصـراني مسـتمر علـى مـا يزيـد مـن الألـف عـام، رغـم أن بعـض الحضـارات حاربـت المسـلمين، إلا أن معظـم تلـك الحضـارات لـم تحـتفظ بتـراث مـن الكراهيـة تجـاه الإسـلام والمسـلمين كمـا حصل من قبل الكنيسة، وصناع القرار عندهم.

وهذا مصداق لقول الباري سبحانه وتعالى: **﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾** (٢).

والغريـب أن هـذا العـداء متجـدد وبصـور مختلفـة، ويـزداد كراهيـة وعنصـرية حتـى مـع اهتمـام المسـلمين بـالحوار والتـوازن معهـم، ومـا حصـل مـن أحـداث ومواقـف مـن الغـرب الصـليبي- فـي الآونـة الأخيـرة- تجـاه النبـي ﷺ والطعـن فـي شخصـه الكـريم مـن أعلـى سـلطة دينيـة ممثلـة فـي البابـا " بينـديكت" الـذي أسـاء الأدب مـع نبـي الرحمـة محمـد ﷺ إلا دلـيلاً أكيـداً علـى ذلك (٣).

إن هـذا الهجـوم لنبـي الإسـلام إنمـا يعكـس امتـداد العـداء لأئمـة الإسـلام، ناهيـك عـن جـرائمهم المختلفـة التـي نراهـا ونسـمعها ليـل نهـار فـي ديـار المسـلمين مـن قتـل وسـلب ونهـب، وتخريـب، وهتـك أعـراض، ولعـل مـا نشـاهده في فلسطين والعراق وأفغانستان أوضح صورة، وخير شاهد لذلك.

ثانياً: الانتصار العملي للدعوة الإسلامية:

---

١ -انظر: قصة البيت الحرام/ د. محمد بن عبدا لله الخرعان (ص ٢٩).

٢ -سورة البقرة/ الآية: ١٢٠

٣ -انظر: لماذا يكرهونه ؟ د/ باسم خفاجي (ص ١١-١٧) سلسلة تصدر من مجلة البيان.

إن المطلوب من المدعو المسلم الذي استوعب الإسلام نظرياً، أن يطبق ذلك بالعمل الحقيقي لدعوته.

وهذا الرجل الكناني الذي جاء ذكره في أول قصة الفيل، خرج من بلاده إلى اليمن، وقطع المسافات الطويلة انتصاراً لمعتقده، وانتقاماً لحرمة البيت، سار بنفسه، وضحى، وبذل الجهد الجهيد في سبيل مبدئه كما جاءت في رواية ابن إسحاق " فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعد فيه يعنى: أحدث فيها" (١) وفي رواية أخرى "إن نفيلاً الخثعمي كان يؤرض –أي يضمر– له مايكره فأمهل، فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك، فقام فجاء بعذره فلطخ بها قبلته، وجمع جيفاً فألقاها فيه" (٢) أي في كنيسة القليس.

إن هذا الموقف يذكرنا بحق ديننا علينا، بأن نسير ونبذل ونضحي من أجل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

إن العديد منا ليشعر بالتكاسل من العمل لهذا الدين، وهذا الرجل يمضي في رحلة شاقة، لأجل مقالة تناقلها الناس عن أبرهة تتعلق بإلزام العرب بالحج إلى كنيسة القليس في صنعاء (٣).

إن مثل هذه الهمة والتضحية متى كانت في قلب مسلم نصر الدين (٤).

أن الأصل في العالم الإسلامي، وفي الأمة المسلمة أن يكونوا وحدة واحدة، والمدعو المسلم لابد وأن يدرك أن قضايا المسلمين ومشكلاتهم جزء

---

١ – سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٤٦/١) وانظر: البداية والنهاية/ للحافظ بن كثير (١٤١/٣).مرجع سابق.

٢ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابن الجوزي (١٢٨/٢).

٣ – انظر : فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري / للحافظ بن حجر (٢٠٧/١٢).

٤ – انظر: فقه السيرة أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد (ص ٣٦ ، ٣٧).

لا يتجـزأ مـن دينـه ودعوتـه، لأن مثـل هـذا الإدراك هـي الخطـوة الأولـى الأساسية لوحدة الصف،وحصول التلاحم المطلوب.

وقـد ضـرب الرسـول ﷺ لهـذا المـنهج أروع مثـال وذلـك فـي مثـل قولـه: **(إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه)(١).**

ثالثاً: العمل الجماعي مهم للحصول على نتائج إيجابية للدعوة الإسلامية:

إن العمـل الجمـاعي مـن أجـل الـدعوة الإسـلامية هـو الأصـل، وهـو المطلـوب لتحقيـق الأهـداف، وفـي المقابـل العمـل الـذي يخلـو مـن روح الجماعـة لا يحقـق النتـائج المطلوبـة، كمـا حصـل للعـرب وقـت حادثـة الفيـل "إذ تـدل أحـوالهم علـى أنهـم كـانوا أوزاعـاً وأشـتاتاً، فمـنهم مـن هـو خاضـع للأكاسـرة فـي العـراق، ومـنهم مـن هـو خاضـع للـروم فـي الشـام، ومـنهم مـن هـو خاضـع للأحبـاش فـي الـيمن، ومـنهم القبائـل العربيـة المتحاربـة وسـط الجزيـرة العربيـة". (٢)

ولقـد تـأثر العـرب أيمـا تـأثر حينمـا علمـوا بخـروج أبرهـة لهـدم الكعبـة، فـأعظموه وفظحـوه بـه، ورأوا جهـاده حقـاً علـيهم (٣)، وفعـلاً قامـت محـاولات عديـدة لصـد هـذا الغـزو الظـالم، فخـرج ذو نفـر وقومـه، ومـن أجابـه مـن سـائر العرب.

وكـذلك تصـد لأبرهـة قبيلـة خـثعم: شـهران وداهـس، ومـن تـبعهم مـن قبائـل العرب.

حتـى إذا مـرّ بالطـائف، خـرج إليـه مسـعود بـن معتـب فـي رجـال مـن ثقيـف. كما همت قريش وكنانة وهذيل، ومن كان بذلك الحرم بقتاله.

---

١ – الجامع الصحيح / للإمام البخاري

٢ – انظر: فقه السيرة/ أ.د. زيد الزيد (ص ٣٧). مرجع سابق

٣ – سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٤٦/١) وانظر: البداية والنهاية/ للحافظ بن كثير (١٤١/٣). مرجع سابق

ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل، وتحولت نتائجه إلى خسارة محققه للعرب، تمثلت في هزيمة" ذو نفر" وأصحابه، ثم اقتياده أسيراً معهم، وكذلك الحال مع قبيلة خشعم، حيث أقتيد نفيل أسيراً مع أبرهة، أما قبيلة ثقيف فقد استسلمت رغماً عنها، وهكذا فعلت قريش ومن معها من العرب (١).

وهكذا تساقطت القبائل العربية بين يدي أبرهة، إذ لم يكن لهم مكان في هذا العالم، بسبب قوتهم المجردة من التعاون والاتفاق.... ولهذا ينبغي للمسلمين أن يعوا هذا الدرس جيداً، واضعين نصب أعينهم قول الرسول ﷺ **(يد الله مع الجماعة)** (٢)

رابعاً: المطلوب من الداعية التمهيد والتهيئة للأمور العظيمة:

إن في حادثة الفيل درساً مهماً للدعاة في قضية الاهتمام بأمر الإعداد والتهيئة للأمور العظيمة، فالقصة في ذاتها حدث عظيم، كان لها ما بعدها من دلالات عظيمة، وأبعاد مبهرة، فاقت تصورات البشر.

لقد عد القرشيون الوثنيون ذلك الانتصار على الحبشة تكريماً لهم، لم يدرو أنه كان تكريماً لمولود سيكون سراجاً منيراً، فالله سبحانه وتعالى لم ينصر قريش على الحبشة لخيريتهم عليهم، بل لأنه سبحانه أراد حماية بيته العتيق، ليكون ذلك إرهاصاً لمقدم رسوله الكريم،(٣) وتمهيداً لبعثه لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، وتجديد الحنفية، وإقرار الهدى والحق والخير فيها،ولقيادة الدنيا بهذا الدين الخاتم (٤).

---

١ – انظر: سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (١/٤٦-٤٩) والروض الأنف / للعلامة السهيلي (١/٦٤-٦٨). مرجع سابق

٢ – أخرجه الترمذي في الفتن، باب رقم ٧، رقم الحديث ٢١٦٧، وعلق عليه المحقق عبد القادر الأرناؤوط بقوله:" هو حديث حسن بشواهده" انظر: هامش جامع الأصول في أحاديث الرسول/ ابن الأثير حديث رقم ٤٧٩٧ (٦/٥٦٤).

٣ –انظر: تفسير البحر المحيط/ لأبي حيان الغرناطي (٨/٥١٢).

٤ –انظر: في ظلال القرآن/لسيد قطب/ (٦/ ٣٩٧٤)وقصة البيت الحرام / د. محمد الخرعان (ص٣٠) ومجلة الأزهر الجزء العاشر،السنة ٤٤ ذو الحجة١٣٩٢هـ بقلم/أ.السيد حسن فهمي.

وفي صدد تأكيد هذا يقول الإمام القرطبي: "كانت قصة الفيل فيما بعد من معجزات النبي ﷺ، وإن كانت قبله، وقبل التحدي، لأنها كانت توكيداً لأمره، وتمهيداً لشأنه" (١).

وأما الحافظ ابن كثير فيشير إلى هذا الدرس من خلال تفسيره سورة الفيل بقوله: "وهذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال" (٢) . ويفصل الإمام الماوردي في بيان ذلك بقوله: ولما دنا مولد الرسول ﷺ تقاطرت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته فكان من أعظمها شأناً، وأظهرها برهاناً، وأشهرها عياناً وبيانا أصحاب الفيل... وآية الرسول من قصة الفيل أنه كان في زمانه حملاً في بطن أمة بمكة، فكانت آيته في ذلك من وجهين:

أحدهما: أن أبرهة وجماعته لو ظفروا لسبوا أهل مكة واسترقوهم، لكن الله تعالى أهلكهم لصيانة رسوله عليه السلام أن يجري عليه السبي حملاً ووليداً.

والثاني: أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أذى أصحاب الفيل عنهم... لأنهم كانوا بين عابد صنم، أو متدين وثن، أو قائل بالزندقة،ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيساً للنبوة وتعظيماً للكعبة، وأن يجعلها قبلة للصلاة ،ومنسكاً للحج(٣).

ويؤكد الإمام ابن قيم الجوزية هذه التهيئة بقوله "وكان أمر الفيل تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان

---

١ - .....

٢ -تفسير القرآن العظيم/ للحافظ ابن كثير (٥٤٩/٤) دار الباز- مكة المكرمة، ودار إحياء التراث العربي- بيروت ١٣٨٨هـ.

٣ -انظر: أعلام النبوة/ للإمام الماوردي (ص ١٨٥) وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٦٦/١٧) والجامع الصحيح للسيرة النبوية/ د. سعد المرصفي (ص ٢٩٤، ٢٩٥).

دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ ذاك، لأنهم كانوا عباد أوثان، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه، إرهاصاً وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة" (١).

خامساً: مطامع أعداء الدعوة الإسلامية لا حدود لها:

من الواضح أن حادثة الفيل كانت لها أسبابها، وأسبابها هي ما نراه اليوم بأعيننا، هي مطامع الأقوياء في استعباد الضعفاء، وسلب رزقهم وخيرات بلادهم.

إن مطامع أبرهة كرئيس للنصرانية آنذاك كانت لا حدود لها، فقد بنى الكنيسة بحجة صرف الناس إليها بدلاً عن البيت العتيق،وكانت في نواياه أيضاً تحويل تجارة مكة العالمية وثراءها وأمنها ومنافعها إلى بلادهم، وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل كانت له مطامع أكبر، وتطلعات أعظم تتعلق والسيطرة على الجزيرة العربية كاملة، ولأنه الرجل الذكي سار بأهدافه خطوة خطوة، ومما يدل على ذلك:

١) خروج أبرهة بجيش كبير، وإمدادات عظيمة لإشعال حرب كبيرة، هل يعقل أنه كان بسبب إلقاء قاذورات، أو إشعال نار في كنيسة، مع ما عرف عنه من صفة الحكمة والحلم كما قرر ذلك المؤرخون(٢).

٢) كان من الطبيعي أن تنتهي مفاوضات "أبرهة" مع عبد المطلب عند منطقة المغمس بتلك النتائج الفاشلة. وينسد كل طريق للسلام، ذلك لأن "أبرهة" لم يكن جاداً على أي نحو، لقد غادر بلاده على رأس جيش كبير ليحقق هدفاً بعينه– وهو هدم الكعبة– لهذا لم يكن

١ –زاد المعاد في هدي خير العباد/ للإمام ابن قيم الجوزيه (٧٦/١).

٢ –انظر:سيرة النبيﷺ لابن هشام (٤٧/١) تاريخ الطبري/للإمام ابن جرير الطبري(١٣٢/٢)

معقـولاً، ولا متصـوراً أن يقبـل أي عـرض يقـل عـن هـدم الكعبـة، فـلا ثلث أموال تهامة، ولا كل أموال قريش، والعرب جميعاً تكفيه.

٣) لـو حصـل "لأبرهـة" مـا أراد مـن طمـوح بهـدم الكعبـة، فلـم يكـن ليعـود إلـى حيث جاء أبداً، فما كان ليترك قريشاً تعيد بناء الكعبة من جديد بل إن طبيعة العدو في مثل هذه الحالة التي نحن بصددها أن يعمد إلى هدم الكعبة، ثم يبادر بالسيطرة على مكة وما حولها، ثم الجزيرة العربية كلها،- كما فعل قبل ذلك في اليمن ذاتها لما قام باحتلالها بحجة واهية وهي الانتقام من "ذي نواس" (١) ولأن العدوان يغري بالتوسع ويفتح شهية المعتدي ولو كان بالقتل والتشريد والظلم، فإن الموقف كان ينبئ بشر مستطير، وعواقب تجعل البشرية تقف على حافة الهاوية لتسقط في بئر لا قرار له. (٢).

ولهذه النوايا الخبيثة، أراد سبحانه أن يعطي المسلمين درساً بليغاً من خلال قرآناً يتلى إلى يوم الدين، حيث وضح سبحانه نواياهم الخبيثة بآية واحدة صغيرة ﴿ **ألم يجعل كيدهم في تضليل** ﴾ (٣) فعبر سبحانه عن مقاصدهم الفاجرة "بالكيد" الدال على خفي التدبير، وسيئ المكر، وجاء في صورة الاستفهام التعجبي، دليلاً على فظاعة ما كانوا يستهدفون، من هدم بيت الله وتخريبه، والعبث بحرمة، وهتك حرمات أهله (٤) ويؤكد الرازي هذا المعنى من خلال هذه الآية بقوله : "لما سماه تعالى كيداً وأمره كان

---

١ -انظر: سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٤٧/١) وتاريخ الطبري/ للإمام بن جرير الطبري (١٢٥/٢-١٢٧).

٢ -انظر: مجلة الحرس الوطني (ص ٤٥) العدد ٧٠ ذو الحجة ١٤٠٨هـ - ومجلة الأزهر (ص ٩٣٢- ٩٣٤) الجزء العاشر السنة ٤٤ ذو الحجة ١٣٩٢هـ.

٣ -سورة الفيل / الآية ٢.

٤ -انظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية/ د. سعد المرصفي (ص ٢٩٧).

ظاهراً، فإنه كان يصرح أنه يهدم البيت؟ قلنا: نعم، لكن الذي كان في قلبه شر مما أظهر، لأنه كان يضمر الحسد للعرب، وكان يريد صرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة، منهم ومن بلدهم إلى نفسه وإلى بلدته" (١) وهكذا كل الأعداء في كل العصور، فلينتبه المسلمون لذلك!!.

سادساً: عدم الدخول في جولات خاسرة مع أعداء الدعوة الإسلامية:

رغم إيماننا بأهمية العمل الذي قام به الرجل الكناني، أو الرفقة العربية التي أججت ناراً في كنيسة القليس التي بناها "أبرهة" (٢) انتصاراً للعقيدة، ودفاعاً عن بيت الله العتيق،إلا أن الواقع البشري، وطبيعة المواقف تحتم على الإنسان التريث، وعدم الاستعجال، للدخول في جولات خاسرة مع الأعداء، كما حصل في هذا الموقف الذي اعتبر الشرارة الصغيرة لشر عظيم، تحملت جهات عديدة آثاره المدمرة، فرغم تفاهة السبب، إلا أنه كان سبباً لغزو أبرهة وتحقيق مراده، وهكذا هي طبيعة العدو الذي يتربع الكرسي، ويقود المجتمعات، يتخذ من الأحداث البسيطة حجج لتوجيه كيده ومكره العدواني للشعوب المستضعفة، ويجدون في تلك التفاهات وسائل مقنعة لتبرير موقفهم أمام العالم بحجة غبية لا تنطلي على ضعاف العقول، لكنها تبقى حجة يتحجج بها العدو ليل نهار– كما حصل في أحداث سبتمبر– إنها سنة معروفة منذ فجرا لتاريخ أثبتتها أحداث القصة.

لقد أدرك "عبد المطلب" هذه الحقيقة، فلم يرغب الدخول في جولة خاسرة مع العدو الخارجي، ولو كانت جولة من أجل بيت الله، وبيت خليله، وأعلنها صراحة : "والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة" وفوض أمره

---

١ –نقلاً عن : تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٥٩/١٧، ٦٢٦٠).

٢ –انظر الروايتين في : تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان / للعلامة النيسابوري (٥٦٥/٣٠/٦) وتفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ للقاضي أبي السعود (٢٠٠/٩).

إلـى اللـه لينـتقم مـنهم قـائلاً : " هـذا بيـت اللـه الحـرام، وبيـت خليلـه إبـراهيم، فـإن يمنعه وحرمه، وإن يخل بينه وبينه ،فوالله ما عندنا من دفع عنه" (١)

ثـم بعـد ذلـك، لمـا اشـتد الأمـر اختـار لنفسـه وقومـه الانسـحاب إلـى رؤوس الجبال والشعاب وفضله، تخوفاً من معرة الجيش الذي لا قبل لهم بهم(٢).

إن هـذين المـوقفين يلفتـان النظـر إلـى قاعـدة إسـلامية أصـيلة تسـاعد المسـلم في مثل هذه المواقف، إنها قاعدة دفع الضرر أولى من جلب المصلحة.

سابعاً: المطلوب من الداعية استغلال مواقف الشدة لمخاطبة الفطرة:

إن من الحقائق المسلم بها إن الشدائد تزيل حُجب الفطرة، فكثير من المدعوين الذين تعطلت حواسهم عن الإدراك السليم لحقائق الربوبية والألوهية، أو علت فطرهم حجب سميكة من الفسوق والعصيان، أو غمرتهم الضلالات والأباطيل والشهوات، كان فيما يواجههم من شدائد، وما يداهمهم من مصائب جلاء يزيل عنهم حجب الغفلة، ويهتك أستار الظلمة، لتعود إلى ربها راضية منيبة(٣) ، مصداقً ذلك قوله تعالى **﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾**(٤).

ولقـد كـان فيمـا لاقـاه العـرب الوثنيـون مـن شـدائد مـن جـراء العـدو الهمجـي الـذي وجهـه أبرهـة إلـيهم فرصـة عظيمـة لظهـور تلـك الفطـرة النقيـة، ظهـر أثرهـا في أقوالهم وسلوكهم في أكثر من موقف، فعلى سبيل المثال:

---

١ –تـاريخ الطبـري (١٣٣/٢) والمنـتظم فـي تـاريخ الملـوك والأمـم / لابـن الجـوزي (١٢٣/٢، ١٢٤).

٢ –انظر: المرجعين السابقين.

٣ –انظر: دعوة الفطرة / د. يوسف أبو هلالة (ص ٩١).

٤ –سورة يونس / الآية ٢٢.

- خروج بعض قبائل العرب المشركين لقتال أبرهة حين سمعوا بأنه يريد هـدم الكعبـة، بيـت اللـه الحـرام، بـل ورأوا أن ذلـك حقـاً واجبـاً عليهم (١).
- لما بعث "أبرهة" حناطة الحميري للمفاوضة مع عبد المطلب سيد أهل مكة، كان في ردّ عبد المطلب ما يثبت ظهور الفطرة السليمة وذلك في قولـه: " واللـه مـا نريـد حربـه، ومالنـا بـذلك مـن طاقـة، هذا بيـت اللـه الحـرام، وبيـت خليلـه إبـراهيم عليـه السـلام، فـإن يمنعـه منـه فهـو بيتـه وحرمته، وإن يخل بينه وبينه، فو الله ما عندنا دفع عنه" (٢).
- فـي لقاء عبد المطلب مـع أبرهة للمساومة فـي أمر المئتي بعير، قال أبرهة لعبد المطلب: " أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ فرد عليه عبد المطلب بإيمان فطري: "إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه" (٣).
- لمـا أمـر عبـد المطلـب قريشـاً بـالخروج مـن مكـة والتحـرز فـي شـغاف الجبـال والشـعاب "قـام هـو، ومعـه نفـر مـن قـريش يـدعون اللـه، ويستنصرونه على أبرهة وجنده" (٤).
- حين قام "نفيل بن حبيب الخثعمي " إلى جنب الفيل، ثم همس في أذنه قائلاً بفطرة سليمة: "ابرك محمود أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام" (٥).

---

١ –انظر: سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٤٧/١) والبداية والنهاية / للحافظ ابن كثير (١٤١/٣)

٢ –المرجعـان السـابقان (٤٩/١) (١٤٤/٣) وانظـر: المنـتظم فـي تـاريخ الملـوك والأمـم/ لابـن الجوزي (١٢٣/٢).

٣ –المراجع السابقة (٥٠/١) (١٤٥/٣) (١٢٥/٢) وانظر: تاريخ الطبري (١٣٨/٢).

٤ –المرجعان السابقان (٥١/١) (١٤٦/٣)

٥ –المرجعان السابقان (٥٣/١) (١٤٧/٣)

- لما حلت الهزيمة لأبرهة وجنده أظهر نفيل الخثعمي تلك الفطرة بقوله: أين المفر والإله الغالب والأشرم المطلوب ليس الغالب (١).

لقد انجلت الغشاوة عن هؤلاء في اللحظات العصيبة، وظهرت مكانها الفطرة السليمة، لتقودهم إلى الاعتقاد بوجود إله واحد خالق، عادل، قاهر، يخلصهم من هذا الظلم البشري، كيف لا والله سبحانه هو الذي غرس التوحيد في فطرة الإنسان يقول سبحانه وتعالى في تأكيد هذا: **﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {١٧٢}أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {١٧٣}وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ{١٧٤} ﴾(٢).**

ويقول ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويشركانه)** (٣).

إذاً هناك صلةٌ بين الفطرة السليمة والتوحيد، وإذا كان التوحيد هو أصل الإسلام وحقيقته، فإن التوحيد هو أيضاً أصل الفطرة الإنسانية وعرقها النابض، ولهذا فإن الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وفاسقهم، إذا طرقتهم داهية أو مصيبة، يعودون إلى حول الله وقوته رغم أنهم لا يرونها، ولكنهم يشعرون بها بأرواحهم، وعقولهم، وأعصابهم.

إن الفطرة من أهم مصادر معرفة الإنسان ربه، فينبغي استغلالها عند ظهورها، للأخذ بأيدي المدعوين إلى الخير والنجاة .

ثامناً: الإيمان الفطري ضعيف الأثر والتأثير:

---

١ –المرجعان السابقان

٢ –سورة الأعراف / الآيات ١٧٢–١٧٤

٣ –صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢٣ (٢٠٤٨/٤).

مما لا شك فيه أن الإيمان الفطري ضعيف الأثر والتأثير مقارنة بإيمان المؤمن الحق، ولقد ظهر ذلك جلياً وواضحاً من موقف العرب في مكة، لما تركوا لعدو الله أقدس مقدساتهم، ينتهك حرماتها، ويفعل بها ما يشاء، ويصنع فيها ما يريد، حيث لم يشهروا لها سيفاً، بل ولم يعلنوا لها استنكاراً، وهم أهل القتال والحرب والغزو، يقدمون أكبادهم رخيصة سنوات عديدة بحرب داحس والغبراء، لكنهم أمام عقيدتهم وحماية مقدساتهم يتقاعسون ويتبلدون.

فشتان بين إيمان أهل مكة قبل الإسلام، وبين إيمانهم بعد الإسلام. بل وشتان بين إيمان عبد المطلب (الجد)، وبين إيمان محمد ﷺ (الحفيد).

فإيمان عبد المطلب وهو سيد من سادة الجزيرة العربية لا يساوي شيئاً أمام إيمان محمد ﷺ وهو المحاصر من زعماء الجزيرة، ومع ذلك يترفع عن مغريات الحياة الدنيا، ويقول بقوة المؤمن: "ياعم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته" (١).

وبين من يتنزل إلى مغريات الدنيا ليقول بضعف: "ردّ إليّ إبلي، وللبيت رب يحميه" (٢).

ذلك لأن الإيمان الحق يتأثر ويستمد قوته من رافع السماء بلا عمد، ويؤثر بقوة وإيجابية وفعالية في حياة المؤمنين.

تاسعاً: التنازل عن الثوابت يفقد الدعاة مكانتهم.

العناية بالثوابت والمحافظة عليها من أولى الأولويات الواجبة في إعداد الداعية، ولا يجوز بحال من الأحوال التنازل عنها، لأنه يؤدي إلى أن يفقد

---

١ –سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٢٧٨/١).والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية/ د. مهدي رزق الله أحمد (ص ١٦٦). مرجع سابق

٢ –سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٥١/١). مرجع سابق

المرء قيمته عند الآخر، بل وكل انتقاص لكرامة الإنسان في هذه الدنيا إنما تأتي غالباً من هذا الجانب.

ولقد رأينا في حادثة الفيل كيف تغير موقف أبرهة مع عبد المطلب سيد قريش بمجرد تهاون الأخير عن عقيدته، وتضحيته بها، فلقد نزل أبرهة عن سريرة إجلالاً وتقديراً لعبد المطلب، لكن هذه النظرة تغيرت بمجرد معرفته حاجة عبد المطلب، كما ظهر ذلك في الرواية التاريخية عند ابن إسحاق حين قال أبرهة: " كنت قد أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه !!" (١).

ويعلق الحافظ ابن حجر على هذا الموقف بقوله: " فاستقصر همته وقال: لقد ظننت أنك لا تسألني إلا في الأمر الذي جئت فيه" (٢) يشير إلى هدم الكعبة، رمز عقيدته، ويؤكد القاضي أبو السعود تلك النظرة بقوله: "سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك، وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه، ألهاك عنه ذود أخذت لك" (٣).

إن من يبذل لعقيدته ومبادئه، يبذل لعزه وكرامته، والعكس بالعكس. وإذا كان هذا قبل الإسلام، فإن الأمة المسلمة التي نشأت على العقيدة الإسلامية، وقامت بالدين الذي صنعها وحضّرها أولى به، والذي ضيع المسلمين على فترات طويلة من تاريخهم، ومكن منهم أعداءهم، فغلبوهم على دينهم تخالف، ثم دنياهم ، ما كان منهم من اعتزاز بمناهج ونظم

---

١ –سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٥٠/١، ٥١) والبداية والنهاية/ للحافظ ابن كثير (١٤٥/٣) والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابن الجوزي (١٢٥/٢). مراجع سابقة

٢ –فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢٠٧/١٢) مرجع سابق

٣ –تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / (٢٠٠/٩).

تخالف غير ما شرع الله، لأن المنتمي إلى الإسلام بحق لا يعطي لعدوه نقطة ضعف يركبه من خلالها، ثم يسوقه إلى حيث ضياعه في الدنيا والآخرة (١).

فالتضحية في سبيل الثوابت، وليس التضحية بها، هي أهم ما يجب ان تتجه إليه الهمم، وهذا ما يجب أن يربى عليه دعاة الإسلام.

على ألا يدعو ذلك إلى الغلو والمجافاة والتطرف، لأن هذا مخالف لثوابت الدين.

عاشراً: بعض الأحداث المؤلمة والوقائع المفجعة قد تكون مقدمات لخير عظيم وبزوغ فجر جديد:

لما عزم "أبرهة" على تخريب الكعبة وتجهز في جيش كثيف، واستصحب معه فِيَلاً عظيمة، فما أن دنا من مكة، حتى قدم الفيل في أعظم محاولة وأكبر مصيبة حلت بمكة للإضرار بها وأهلها، في هذه اللحظة أتى أمر الله تعالى وحلت الهزيمة بهلاك الجيش، وانتصرت قريش، وعظمت مكانها عند العرب لحماية الله سبحانه لها، بين ذلك ﷺ في قوله: (إن الله حبس عن مكة الفيل)(٢) أي: فيل " أبرهة" كما قرر ذلك أهل العلم (٣)، وفي بيان هذا قال ابن هشام " فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم ما أصابهم من النقمه، أعظمت العرب قريشاً وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم مؤنة عدوهم" (٤).

يفصل الإمام الماوردي حصول النعمة في قريش بعد نقمة أبرهة بقوله: لما انتشر في العرب ما صنع الله تعالى بجيش الفيل تهيبوا الحرم وأعظموه، وزادت حرمته في النفوس، ودانت لقريش بالطاعة، وقالوا: أهل

---

١ –انظر: فقه الدعوة إلى الله/ د. علي عبدا لحليم (٨٠٦/٢).

٢ –صحيح الإمام البخاري مع الفتح وسبق تخريجه (ص)

٣ –انظر على سبيل المثال: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/ للحافظ القرطبي (٤٧٥/٣) وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (٣٠٦/١) ومنحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى تحفة الباري للانصاري (٣٥١/١).

٤ – سيرة النبيﷺ(٥٩/١) والسيرة النبوية/ للذهبي(ص٦) وسبل الهدى والرشاد/للشامي (٢٥٨/١).

الله قاتل عنهم، وكفاهم كيد عدوهم، فزادهم تشريفاً وتعظيماً، وقامت قريش لهم بالرفادة والسدانة والسقاية فصاروا أئمة ديانين، وقادة متبوعين، وصار أصحاب الفيل مثلاً في الغابرين (١).

ثم بعد ذلك حصل الخير الأعظم والأكبر ببزوغ فجر الإسلام الذي حمل الخير الدنيوي والأخروي للناس حيث كانت حادثة الفيل إرهاصاً وتقدمه لمبعث رسول الله ﷺ، لتأسيس النبوة ومجيء الرسالة الخالدة (٢).

لهذا على الدعاة ألا يضيقوا بالنكبات التي تحصل للمسلمين واعتبارها مخارج لآلام الأمة ومحنها، وذلك لئلا لا يتسرب اليأس إلى النفوس. فالرزايا إذا توالت تولت، والله سبحانه وعد ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾(٣). وهو لا يخلف الميعاد، وإذا تحقق هذا في قريش الكافرة فإن حصوله في الأمة المسلمة آكد، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم بقولهم : منع الله الحبشة ومعهم الفيل في غزوهم مكة، وسلط عليه الطير الأبابيل، مع كون أهل مكة إذ ذاك كانوا كفاراً،فحرمة أهلها بعد الإسلام آكد(٤).

حادي عشر: حصول الشرف على الدفاع عن مقدسات الدين:

إن الدفاع عن المقدسات والحرمات شرف عظيم، لا يقلده سبحانه إلا لعباده الصادقين، الذين يحبهم ويحبونهم، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ**

---

١ –انظر: اعلام النبوة (ص ١٨٥) وتفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل (٦٢٦٧/١٧) (٢٥٨/١).والجامع الصحيح للسيرة النبوية / د. سعد المرصفي (٢٩٥).

٢ –انظر : اعلام النبوة للماوردي (ص ١٨٥) وزاد المعاد / لابن قيم الجوزية (٧٦/١) وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٦٦/١٧).

٣ –سورة الشرح / الآية ٦

٤ –انظر: فتح الباري/ للحافظ ابن حجز (٢٠٦/١) وهامش اصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان / للعلامة الفارسي (٢٩/٩).

وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١) وقوله سبحانه: **﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾** (٢).

ولقد كان بإمكان قبائل العرب، بل وقبيلة قريش الوقوف في وجه "أبرهة" وجيشه لأنهم أهل القتال والحرب والغزو والنهب، وهم الذين قدموا أكبادهم تفرم بحرب داحس والغبراء سنين طوال، من أجل سبق فرس، بل كان بإمكان "عبد المطلب سيد الجزيرة العربية أن يكون له موقف أشد دفاعاً عن الحرمات والمقدسات،لكن لما أراد سبحانه أن يصون بيته، ترك المشركين يتخاذلون أمام القوة المعتدية، وسخر سبحانه للدفاع عن حرماته جنداً آخرين، حتى لا تكون للمشركين يد على بيته، ولا سابقة في حمايته، بحمايتهم الجاهلية، ويؤكد الإمام الماوردي ذلك بقوله: "إنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به دفع أصحاب الفيل عنهم" (٣) وعن مقداستهم فكانت هذه التدابير الإلهية، ليبقى هذا البيت محفوظاً من سلطان المتسلطين، مصوناً من كيد الكائدين، حتى تنبت العقيدة الجديدة بأيدي مؤمنين صادقين (٤).

ثاني عشر: العناد والاستكبار سبب للعقوبات الإلهية:

إن الإصرار على المعاصي والعناد أصل كل بلية، ومنبع كل فساد، ولقد تواترت الآيات في القرآن الكريم تبين أن سبب هلاك الأمم السابقة كنوح، وهود، وصالح، وقوم فرعون، كان بسب عنادهم مع انبيائهم، واستكبارهم

---

١ –سورة: المائدة: الأية/ ٥٤

٢ –سورة : محمد الآية/ ٣٧

٣ –نقلاً عن: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٦٦/١٧)

٤ –انظر: في ظلال القرآن / سيد قطب (٣٩٨٠/٦) والجامع الصحيح للسيرة النبوية/ د. سعد المرصفي (ص ٣٠٦، ٣٠٧)ومجلة أرض الإسراء/ بقلم: المحامي زهير أبو الراغب (ص ١١) لعدد ١٨ شوال ١٤٠٨ – الأردن. وقصة البيت الحرام/ د. محمد الخرعان (ص ٣١)

على ضعفائهم، وفي صدد بيان ذلك يقول سبحانه ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ،وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا** ﴾ (١).

ولعل في قصة الفيل دليل حي على هذا الدرس، حيث توالت التحذيرات لأبرهة الأشرم، وتتالت في صور مختلفة، كان أولها تحذير عبد المطلب له من محاربة الله جل شأنه، ثم من عقاب رب هذا البيت، له عندما قال له : "إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه" فكان رد "أبرهة" المتغطرس ما كان ليمتنع مني أحد". فأكد عبد المطلب تحذيره بقوله "أنت وذاك" (٢).

مع أن عبد المطلب من قوم يعبدون الاصنام، وأبرهة على دين عيسى عليه السلام، وكان الأولى به أن يمتنع عن معصية ربه، لكن النفس البشرية عندما يمتلكها شيطان الغطرسة والمكابرة(٣) فتنقلب موازينها، وتستحق عقوبة خالقها، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَيستكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غافلين** ﴾ (٤).

ثم جاء التحذير الأكبر والأعظم !! إنه التخدير الإلهي، قبل قدوم الطير، وكان التخدير في صورة رفض الفيل –وهو الحيوان الأخرس– أن يتوجه للكعبة مشاركاً في عصيان خالقه، وكان الأفضل التوقف أمام هذا الإنذار العجيب، إلا أن أبرهة حمل الفيل كل أنواع الأذى ليتوجه إلى البيت الحرام، فبرك الفيل ورفض المشاركة، واحتمل كل الأذى، وأصر على

---

١ – سورة النساء/ الأية: ١٧٣

٢ – انظر: سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (ص ٥٠)

٣ –انظر:الصراع الرهيب حول البيت العتيق (ص٦٦،٦٧)وفقه السيرة/أ.د.زيد الزيد(ص٤٠)

٤ –سورة الأعراف/ الأية : ١٤٦

الرفض وعدم النهوض من الأرض، والعجيب أنه إذا وجه إلى جهة غير البيت نهض وأسرع، وتكررت الإنذارات لأبرهة، وتكررت المحاولات منه عناداً واستكباراً، وعندما تقدم أبرهة نحو البيت الحرام كان ما كان من أمر الخاتمة السيئة، بإرسال جنود الله، ممثلة في الطير الأبابيل.

ولو ان أبرهة استجاب للإنذار كان خيراً له، وذلك كما جاء في قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴾ (١) إنه تهديد بحرب لم يألفها البشر، حذر منها عبد المطلب وهو المشرك، وينبغي دائماً أن يتذكرها المسلم ليكون وقافاً عن المعاصي حتى لا يكون في موقع الحرب لله !! وأنى لشخص أن يحارب الله تعالى (٢).

ثالث عشر: الحذر من الاعتداء على الحرم المكي:

كان في حبس الفيل عن الكعبة المشرفة دليلاً على وجود الناصر سبحانه وتعالى (٣)، وكان في ظهور الطير الأبابيل في أشكال وهيئات مختلفة، وهي ترمي أعداء الله بالحجارة عبرة لمن يحاول أن يعتدي على بيت الله العتيق(٤).

لهذا فإن كثيراً من المفسرين ربط العقوبة في سورة الفيل بالتخريب، فعلى سبيل المثال يقول العلامة القاسمي : " كان السبب الذي من أجله حلت عقوبة الله تعالى لأصحاب الفيل مسيرة أبرهة الحبشي بجنده مع الفيل، إلى بيت الله الحرام لتخريبه" (٥).

---

١ – سورة : النساء/ الأية : ٦٦

٢ – انظر: خاتم النبيين/ لأبي زهرة (١٣١/١) وفقه السيرة / أ.د. زيد الزيد (ص ٤٠).

٣ – انظر: من أشراط الساعة/محمد إبراهيم الشيباني (ص٣٣).

٤ – انظر: الصراع الرهيب حول البيت العتيق/ الشيخ عبد الله الغوابي (ص ٧٥).

٥ – تفسير القاسمي/ المسمى محاسن التأويل (٦٢٦١/١٧)

إن في حادثة الفيل درساً لكل من تسول له نفسه الاعتداء على حرم الله في الماضي، والحاضر، والمستقبل، فالله جل شأنه هوالذي تولى حماية بيته من أهل الكتاب وهو يعج بالشرك والمشركين، كيف لا يحميه اليوم وهو معمور بالطائفين والعاكفين والركع السجود (١)، وفي تأكيد هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما الكعبة فإن الله شرفها وعظمها وجعلها محرمة فلم يمكن الله أحداً من إهانتها لا قبل الإسلام ولا بعده، بل لما قصدها أهل الفيل عاقبهم الله العقوبة المشهورة" (٢).

نعم ينبغي للدعاة أن يجعلوا من هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة، بتوجيه جميع الأنظار في جميع الأجيال إليه، كيف لا، والله سبحانه وتعالى امتن بها على قريش بعد البعثة، في السورة، وضرب بها مثلاً لرعايته سبحانه لحرماته وغيرته عليها.

ولا بد لنا أن نستبشر بإيحاء هذه الدلالة، وهذا الدرس اليوم، ونطمئن بأن الله سبحانه الذي حفظ بيته سيحفظ مدينة رسوله عليه الصلاة والسلام، وسيحفظ كل الأماكن المقدسة من الأطماع الفاجرة الماكرة، ترف حول الأماكن المقدسة، من الصليبية العالمية، والصهيونية الخبيثة (٣) وغيرهم من أعداء الدعوة الإسلامية.

رابع عشر: أسلوب الترهيب بجنود الله الكونية في الدنيا:

اشتملت سورة الفيل على أسلوب ترهيبي عملي تمثل في الطير الأبابيل أو الحجارة من سجيل، وكل من شاهد هذه الطيور، أو وصفها، أظهرها بصورة غير مألوفة للنظر(٤)، وهذا ليس بمستغرب، فجنود الله الكونية لا حدود لها، يقول

---

١ – انظر فقه السيرة / أ.د. زيد الزيد (ص ٤٠)

٢ – منهاج السنة النبوية/ ابن تيمية (٥٧٦/٤)

٣ – في ظلال القرآن/ سيد قطب (٦/ ٣٩٧٧، ٣٩٨٠).

٤ – انظر: الروض الأنف/ للسهيلي (٧٢،٧٣/١) وفتح الباري للحافظ ابن حجر (٧٢٩/٨).

سبحانه وتعالى في تقرير ذلك: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ** ﴾ (١) وبين سبحانه بعض أنواعها بقوله الكريم : ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾(٢).

إن هذه العقوبة الدنيوية (٣) الحاصلة في هذه القصة وغيرها من العقوبات الواردة في كتاب الله تعالى للأمم الظالمة ثابتة لهم في الدنيا والآخرة وهذا مبني على قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ (٤) يقول الشوكاني: العذاب الأدنى في الدنيا، والأكبر في الآخرة" (٥).

فالترهيب أسلوب مهم يعالج قضايا الدعوة حسب الحاجة المطلوبة بالقول والفعل، فالقول لمن سمع وعقل وتدبر، والعمل – التنفيذ– لمن جحد وعاند واستكبر، فهو يضعف ويشتد حسب الحاجة إليه (٦)، وللداعية الاستفادة من ذلك عند الاخذ بأيدي المدعوين إلى الخير، خوفاً عليهم من العقاب، وذلك أسوة بنبيه محمد ﷺ لما وجه هذا الأسلوب إلى كبير المعاندين آنذاك –عتبة بن ربيعة – لما جاء يساومه في أمر الدعوة حتى إذا فرغ عتبة قال ﷺ : **(أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم: فقال رسول الله ﷺ : ﴿ بسم اللَّهِ الرحمن الرحيم، حم، تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ –حتى إذا بلغ – ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ** ﴾ (٧) فقام

---

١ – سورة المدثر/ الآية: ٣١

٢ – سورة العنكبوت/ الآية ٤٠

٣ – انظر: هامش تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥١١/٨).

٤ –سورة السجدة/ الآية ٢١.

٥ –فتح القدير (٢٥٤/٤).

٦ –انظر: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة/ د. رقية نصر الله نياز (ص ٤١٥)

٧ – سورة فصلت / الآية ١–١٣.

عتبـة مـذعوراً، فوضـع يـده علـى فـم رسـول اللـه ﷺ يقـول: أنشـدك اللـه والـرحم)(١) ولهـذا الأسـلوب أثـره المفيـد فـي صـد أعـداء الـدعوة، وردهـم عـن غـيهم وضـلالهم تمامـاً كالـذي حصـل فـي خاتمـة هـذه القصـة " لمـا خـرج أبرهـة وجيشـه يبتـدورن الطريـق الـذي منـه جـاءوا، ويسـألون عـن نفيـل بـن حبيـب ليدلهم على الطريق إلى اليمن وهم في حالة شديدة من الخوف والفزع (٢).

خامس عشر: أسلوب الكناية:

مـن الأسـاليب الدعويـة المهمـة التـي يسـتحب اسـتخدامها عنـد عـدم الرغبـة فـي الإفصاح عما يستقذر أو يستقبح، أو يستهجن، أو يستحي في الإفصاح عنه.

وهـذا الأسـلوب جـاء علـى أدب القـرآن الكـريم، والسـنة المطهـرة فـي الاكتفـاء بالتعرض والإرشاد في الأمور المستهجنة (٣).

وقـد اشـتملت سـورة الفيـل علـى هـذا الأسـلوب إشـارة إلـى أهميتـه، وذلـك فـي قولـه تعـالى ﴿ **فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ (٤) حيث شبه سبحانه تقطع أبدان أبرهـة وجيشـه بتفرقـة أجـزء روث الحيوانـات الـذي حـدث عـن أكـل الـزرع وقـع فيه الأكال أي: الدود ونحوه (٥).

---

١ –انظـر: تفسـير القـرآن العظـيم/ للحـافظ ابـن كثيـر (١٥١/٧–١٥٢) دار الشـعب– القـاهرة. والرحيق المختوم / للشيخ المباركفوري (ص١٠٧)، وانظر نماذج من هذا الأثر المفيد في كتاب: الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة د. رقية نصر الله نياز (ص ٣٩١–٤١١)

٢ – انظر: سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٥٣/١).

٣ –انظـر: بهجـة النفوس وتحليها بمعرفـة مالها وما عليها/ لابن جمرة الأندلسي (٤٦/٤) وفتح الباري للحافظ ابن حجر (٤١٦/١) والنبي الكريم ﷺ معلماً / أ. د. فضل إلهي (ص ١٢٤).

٤ –سورة الفيل / الآية ٥.

٥ – انظـر: تفسـير غرائـب القـرآن ورغائـب الفرقـان/ للنيسـابوري (٥٦٧/٣٠/٦). تفسـير البحـر المحيط لابن حيان (٥١٢/٢)

ويوضح الإمام ابن جرير ذلك بقوله:"كزرع أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرقت أجزاؤه، شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرق أبدانهم بها، بتفرق أجزاء الروث الذي حدث عن أكل الزرع"(١).

قال الشهاب: "ولم يذكر الروث لهجنته، فجاء على الآداب القرآنية" (٢).

سادس عشر: ينبغي إعطاء أصحاب الشأن أولوية وأهمية عند الدعوة إلى الله:

لقد فهم هذا الدرس "أبرهة" الكافر وطبقه في أثناء حملته لهدم الكعبة، وذلك عند وصوله إلى أطراف مكة لم يدخلها للتفاوض مع مجتمع مكة، إنما خص بذلك كبيرها وسيدها آنذاك، وفي صدد بيان هذا يقول ابن هشام:"وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها،ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم،إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا لنا دونه بحرب فلا حاجة لي في دمائكم، فإن لم يرد حربي فآتني به –ونفذ الرسول الوصية– فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه وقال له ما أمره به أبرهة" (٣).

فعل ذلك أبرهة لأنه يعلم يقيناً أن لأولي الشأن تأثيرَهم القوي على من هم دونهم، وفهم الذين يتولون كبر المقاومة في المجتمعات. وفعلاً كانت هذه النظرة في مكانها، حيث بينت أحداث هذه القصة كيف أن عبد المطلب لعب دوراً مهماً في توجيه قومه بعد ذلك.

وهكذا ينبغي لدعاة الإسلام أن يتعاهدوا هذا الدرس مع هذا الصنف من المدعوين – سادة القوم ورؤسائهم والبارزين في المجتمع–فالكبراء هم الكبراء في كل زمان ومكان بأوصافهم وأخلاقهم من الحرص على الرياسة والجاه والمنزلة والعلو وحب التقدير والاحترام، حتى مع وجود الإسلام الذي

---

١ – نقلاً عن تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل (٦٢٦٠/١٧)

٢ –المرجع السابق، وانظر: المرجعين السابقين.

٣ –سيرة النبي ﷺ (٤٩/١).

لا يقوي على منعهم ومن السيطرة على تلك السمات، ثم الوقوف في وجه الدعوات المباركة لو تعارضت مع تلك السمات، ويبقون معارضين للدعوة إلى الله (١) بحجج واهية بينها الحافظ ابن كثير من خلال قوله تعالى ﴿ **قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾(٢) قال: وهكذا حال الفجار وإنما يرون الأبرار في ضلال، والواقع الحقيقي أنهم يرون أن من يتبع الحق ضعفاء الناس، والواجب على الأشراف والكبراء مخالفتهم (٣). لهذا كان على الداعية تمييزهم عن باقي المدعوين إرضاء لتلك السمات وكسبهم لصالح الدعوة.

ويزيد هذا الدرس وضوحاً وبياناً ما صارت عليه أحداث القصة بشكل عام، فقبيلة قريش نصرت في حادثة الفيل وميزت على سائر القبائل وخصت بالحماية الإلهية، ثم لما بعث رسول الله ﷺ بدأ بها دون غيرها من القبائل دلالة على حكمة عظيمة تتعلق وإعطاء الكبراء والمميزين أولوية وأهمية.

وكذلك يبدأ الداعية في دعوته، في المنزل يحسن البدء بالأب، وفي المدرسة بمديرها، وفي القرية بأميرها، لما لهم من تأثير على من دونهم (٤) ولهذا كانت القبائل العربية تنتظر مبادرة قريش ذات السيادة والمكانة للدخول في الإسلام لتحذو حذوها، كما بين ذلك الشيخ ابن عاشور حين قال: " هذا تذكير خاص لأهل مكة وإنما خصوا من بين المشركين من العرب، لأن أهل مكة قدوة لجميع القبائل، ألا ترى أن أكثر قبائل

---

١ –انظر: أصول الدعوة/ د. عبد الكريم زيدان (ص ٣٨٩).

٢ –سورة الأعراف الآية٦٠

٣ –انظر تفسير القرآن العظيم/ للحافظ ابن كثير (٢/٤٤٠، ٤٤١).

٤ –انظر: فقه السيرة / أ.د. زيد الزيد (ص ٤٢).

العرب كانوا ينتظرون ماذا يكون من أهل مكة؟ فلما أسلم أهل مكة يوم الفتح أقبلت وفود القبائل معلنة إسلامهم"(١).

سابع عشر: وسيلة إرسال الرسل:

جاء في حادثة الفيل ما يفيد استخدام هذه الوسيلة وذلك حينما "بعث أبرهة حناطة الحميري إلى عبد المطلب سيد قريش، وكذلك حين قيام عبد المطلب نفسه بدور رسول قومه إلى أبرهة الأشرم وقد ساعده في ذلك ما أتصف به من صفات شخصية وخُلقية ينبغي أن تكون في هذه الوسيلة والتي وضحها أهل السيرة بقولهم: لما استأذن عبد المطلب للدخول على أبرهة قال أنيس : "أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذن له عليك فليكلمك في حاجته، قال: فأذن له أبرهة. قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس، وأجملهم، وأعظمهم" (٢).

لقد وجدت هذه الوسيلة قبولاً في نفس "أبرهة" بدليل ما جاء في الرواية: "فلما رآه "أبرهة" أجله وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له : حاجتك" (٣).

وكانت هذه الوسيلة ناجحة لولا قيام عبد المطلب بإخراجها عن مسارها المطلوب لما قال لأبرهة: "حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي.

---

١ –تفسير التحرير والتنوير/ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور/ (٣٣/٢١).

٢ –السيرة النبوية/ لابن هشام (٥٠/١) وانظر: تاريخ الطبري / لابن جرير الطبري (١٣٨/٢) هـ . والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابن الجوزي (١٢٤/٢).

٣ –المراجع السابقة.

فـرد أبرهـة : كنـت قـد أعجبتنـي حـين رأيتـك، ثـم قـد زهـدت فيـك حـين كلمتنـي، أتكلمنـي فـي مـائتي بعيـر أصـبتها لـك وتتـرك بيتـاً هـو دينـك ودين آبائك جئت لهدمه لا تكلمني فيه" (١).

لهـذا كـان مـن المهـم لأهـل الإسـلام أن يختـاروا الرسـول وفـق معـايير معينـه فـي المظهـر العـام، وفـي الشخصـية، بالإضـافة إلـى حسـن السـمت، ورجاحـة العقـل وغـزارة المنطـق، وملكـات حسـن الحـوار، ومجادلـة القـوم، مـع أهميـة التمسـك بالمبـادئ والثوابـت، بالإضـافة إلـى التمسـك بـالأخلاق الإسـلامية وغيرهـا من المعايير التي تفرض احترام الرسول عند المُرسل إليهم.

إن هـذه المعـايير تفرضـها مكانـة هـذه الوسـيلة، لأن وظيفـة رسـول الـدعوة مـن الأهميـة بمكـان، لأنـه يمثـل حلقـة اتصـال بـين الـدعوة والمـدعوين الـذين يتوجه إليهم برسالته فلابد أن يترك أثر طيباً لما يدعوا إليه.

إن الـدعوة الإسـلامية اليـوم فـي حاجـة ماسـة إلـى هـذه الوسـيلة، خاصـة مـع ظهـور مـا يعـرف برجـل الإعـلام، الـذي مـن الممكـن أن يحمـل دعـوة الإسـلام على نطاق واسع، وبسرعة تفوق الخيال.

ثامن عشر: الجهود الفردية في الدعوة إلى الله مثمرة حتى في المواقف الصعبة:

يظـن بعـض النـاس أن الجهـود الفرديـة لا تثمـر مادامـت أنهـا جهـوداً فرديـة إلا فـي حـدود ذواتهـم، وهـذا القـول غيـر صـحيح، فقـد أثبتـت حادثـة الفيـل بـالواقع كيـف أثمـرت جهـود "نفيـل بـن حبيـب الخثعمـي " فـي ردّ تلـك الحملـة العظيمـة، حملـة الفيـل وأصـحابه لمـا تهيـأ أبرهـة لـدخول مكـة، وهيـأ فيلـه،وعبى جيشـه لهـدم البيـت ثـم الانصـراف إلـى اليـمن، فلمـا وجهـوا الفيـل إلـى مكـة أقبـل نفيـل بـن حبيـب حتـى قـام إلـى جنـب الفيـل، ثـم أخـذ بأذنـه فقـال: أبـرك محمـوداً (٢) أو ارجـع راشـداً مـن حيـث جئـت فإنـك فـي بلـد اللـه الحـرام، ثـم أرسـل أذنـه،

---

١ –المراجع السابقة.

٢ –كان اسم الفيل محموداً.

فبرك الفيل، وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد الجبل" (١) لقد برك الفيل بصورة عجز معها الجيش من إنهاضه بكل وسائل العنف والقوة التي استخدموها، فكان ذلك الجهد الفردي بوابة النهاية لذلك الجيش المتغطرس. ومن هذا الباب أيضاً جهود أبي بكر الصديقﷺ الفردية في رد الناس إلى الحق بعد وفاة الرسول ﷺ(٢)، وكذلك جهود عدي بن حاتم ﷺ الفردية في عودة خمس مائة مقاتل من بني طي، وألف راكب من بني جديلة من الردّة إلى الإسلام (٣).

بل إن كتب السير والتاريخ حافلة بهذه النماذج المشرفة، والمهم في ذلك الإخلاص، والرغبة فيما عند الله، فإذا كان نفيل بن حبيب الرجل الأسير(٤) عند أبرهة بهذه الهمة العالية في صد أعداء الله، فإن دُعاتنا أولى بهذا الإخلاص.

وإذا بارك الله جهود نفيل بن حبيب صاحب العقيدة الفاسدة، فإن توفيقه سبحانه وتعالى لدعاته أشد.

إن مهمة نشر الدعوة الإسلامية للمدعوين هي مهمة فردية بقدر ماهي مسؤولية جماعية يشترك فيها الجميع.

تاسع عشر: وسيلة الحرب الاقتصادية:

استخدم أبرهة الأشرم في حربه مع قريش السلاح الاقتصادي، وذلك لما نزل المغمس "بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود ابن مقصود، على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم "(٥) وقد أثر هذا السلاح

---

١ –سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٥٢/١، ٥٣).
٢ –انظر: البداية والنهاية/ للحافظ ابن كثير (٣١١/٦).
٣ –انظر: المرجع السابق (٣١٧/٦).
٤ –انظر: سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٥٠/٤٧/١).
٥ –انظر: الموقف كاملاً في سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٤٩/١، ٥٠) وتاريخ الطبري / لابن جرير الطبري (١٣٨/٢) والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢٣/٢، ١٢٤).

فـي العـرب تـأثيراً كبيـراً، وكانـت ردة فعـل سـريعة مـنهم بينهـا ابـن إسـحاق بقوله: "فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله"(١).

أمـا ردة الفعـل الأخـرى فكانـت فـي غضـب "عبـد المطلـب بـن هاشـم" وإصـراره علـى الـذهاب بنفسـه إلـى قائـد الجيـوش، ومقابلتـه شخصـياً، بعـد محـاولات ووسـاطات متعـددة من قبـل "ذي نفـر"، و "أنـيس" حتـى وصـل إلـى أبرهـة وكلمـه عـن طريـق ترجمانـه الشخصـي، وطلـب منـه رد المئتـي بعيـر التـي أصـابها أبرهـة كمـا جـاء ذلـك فـي الروايـة التاريخيـة " أن عبـد المطلـب أنطلـق ومعـه بعـض بنيـه، حتـى أتـى العسـكر، فسـأل عـن ذي نفـر –وكـان لـه صـديقاً– حتـى دخـل عليـه وهـو فـي محبسـه، فقـال لـه: يـا ذا نفـر هـل عنـدك مـن غنـاء فيمـا نـزل بنـا؟ فقـال لـه ذو نفـر: ومـا غنـاء رجـل أسـير بيـدي ملـك ينتظـر أن يقتلـه غـداً أو عشـياً ؟ مـا عنـدي غنـاء فـي شـيء ممـا نـزل بـك، إلا أن أنيسـا سـائس الفيـل صـديق لـي، وسأرسـل إليـه فأوصـيه بـك، وأعظـم عليـه حقـك، وأسـأله أن يسـتأذن لـك علـى الملـك فتكملـه بمـا بـدا لـك، ويشـفع لـك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي.

فبعـث ذو نفـر علـى أنـيس فقـال لـه: إن عبـد المطلـب سـيد قـريش وصـاحب عيـر مكـة، يطعـم النـاس بالسـهل والوحـوش فـي رؤوس الجبـال، وقـد أصـاب لـه الملك مائتي بعير، فاستأذن له وانفعه عنده بما استطعت.

فقال: أفعل.

فكلم أنيس أبرهة فقال له: أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فأذن له عليك فليكلمك في حاجته. قال: فأذن له أبرهة (٢).

---

١ –المراجع السابقة.

٢ –سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٤٩/١، ٥٠) وتاريخ الطبري/ للطبري (١٣٣/٢).

وقال بسبب ذلك قولته المشهورة: "إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه" (١) وهذا كله مما يدُل على أهمية السلاح الاقتصادي في التأثير على الناس.

عشرون: خصال الخير والمكارم سبب لدفع المكاره:

وفي صدد تقرير هذا الدرس يقول الإمام النووي: "إن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء" (٢) بل إن الله تعالى ينصر الدولة الكافرة العادلة على الدولة المسلمة الظالمة، ومن هذا الباب نصر الله سبحانه وتعالى عبد المطلب الوثني، على أبرهة النصراني، لما كان يتمتع به عبد المطلب من أخلاق سامية، وصفات فطرية سليمة (٣)، حيث كان يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال (٤).

وإن مما يدل على تلك الصفات أنه لما رُد إبلُه- المائتان- من عند أبرهة وقبضها في يده قلدها النعال، وأشعرها وجعلها هدياً بثها في الحرم (٥) وبذلك دفع الله المكاره والسوء عن عبد المطلب وقومه، ونصرهم على أبرهة الأشرم، رغم أنه كان على دين عيسى عليه السلام، حيث كان دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ ذاك، لأنهم كانوا عباد أوثان(٦).

حادي وعشرون: المعجزات وسائل مهمة ومفيدة في الدعوة إلى الله:

في حادثة الفيل مواقف مهمة جاءت في صورة الخارق للعادة،والخارج عن مألوف البشر ، لقد نقلت لنا السير وكتب التاريخ كيف كان رفض خيار الجيش الأول وهو الفيل بالتوجه جهة البيت، بعد إسرار نفيل الخثعمي في أُذن الفيل بكلمات "أبرك محموداً وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام" ثم

---

١ -المرجع السابق (٥٠/١).
٢ -شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٢/٢/١)
٣ -سبق بيانه في (ص٤٨)
٤ -انظر: سيرة النبي ﷺ /لابن هشام (٥٠/١).
٥ -انظر : تاريخ الطبري / لابن جرير الطبري (١٣٨/٢).
٦ -انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد / لابن قيم الجوزيه (٧٦/١).

يرسل إذنه، فيبرك الفيل،(١) وذلك في حركة عجيبة وكأنه يعرف منطق العرب ؟؟ يبرك الفيل وتعجز كل الحيل في تحريكه جهة الكعبة، في صورة من صور الإعجاز الإلهي، فيجهدون في إنهاضه، ويحثونه ويؤذونه ويضربونه، ويبلغون به أقصى ما يهيج الفيل، فلا يبلغون منه شيئاً، فإذا أداروا رأسه إلى أي جهة أخرى غير الكعبة نهض ومضى مهرولاً، فإذا وجهوه إلى مكة برك من جديد، حتى إذا أخذ الوهن والخوف منهم مأخذاً جاء الحسم النهائي لهذا الجيش المعاند الظالم، في صورة سحاب كثيف يخفق بأجنحته، إنه أسراب من الطيور التي أقبلت من جهة البحر، أمثال الخطاطيف، مع كل طير ثلاثة أحجار، في حجم الحمص والعدس، معها نار (٢) لا تصيب منهم أحداً إلا أهلكته، ثم بعث الله عز وجل سيلاً فذهب بهم فألقاهم في البحر(٣)، وليس كلهم أصابت، وولى أبرهة ومن معه هارباً إلى اليمن يسقط عضواً (٤).

لقد جاءت هذه المعجزات لتكون بمثابة آيات وعلامات على وجود إله قوي، فالبشر جبلوا على الإيمان بالمحسوسات أكثر من إيمانهم بالغيبيات، فكانت تلك المعجزة كمقدمة برهان لدين جديد.

"ومع أن النبي ﷺ لم يدرك قصة أصحاب الفيل لأنه ولد في تلك السنة" (٥). إلا أن هذه الحادثة تعد من آيات نبوته كما قرر ذلك أهل العلم حين قالوا: "ولما دنا مولد الرسول ﷺ تقاطرت آيات نبوته، وظهرت آيات بركته، فكان من أعظمها شأناً، وأظهرها برهاناً وأشهرها عياناً وبياناً، أصحاب الفيل" (٦) ويؤكد المفسرون هذا

---

١ –سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٥٣/١)

٢ –انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري / للحافظ ابن حجر (٧٢٩/٨).

٣ –انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابن الجوزي (١٢٨/٢)

٤ –انظر: المراجع السابقة، وتاريخ الطبري (١٣٦/٢).

٥ –فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ للحافظ بن حجر (٧٢٩/٨) .

٦ –تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٦٦/١٧) وانظر: الجامع الصحيح للسيرة النبوية /د. سعد المرصفي (ص ٢٩٧).

بقولهم: "مجئ تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام" (١).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله سبحانه وتعالى لم يخرج معجزات نبيه ﷺ إلا لحجة ، فالحجة ليظهر بها دين الله، ليؤمن الكافر، ويخلص المنافق، ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فكانت فائدتها إتباع دين الله علماً وعملاً، كالمقصود بالجهاد والمال والسلطان (٢).

والقول ما قاله –يرحمه الله– لأن من رأى تلك الحادثة أو سمع بها في ذلك الزمان وبداية الإسلام كانوا محتاجين إلى المعجزات لسردها للمدعوين لتكون وسائل مفيدة لتنبيههم، وحثهم على الاستقامة والالتزام بتعاليم الإسلام. (٣).

وقال ابن سعدي رحمه الله : إن الاستفادة من هذه المعجزة في هذه السورة أمر مهم، لأنها صارت من جملة إرهاصات دعوته ﷺ، وأدلة رسالته، فلله الحمد والشكر(٤).

بل والاستفادة من هذه المعجزة خاصة لأنها جاءت في صورة أمرٍ غير مألوف للبشر، ومعلوم أن الخارقة إذا جرت على السنة المألوفة كانت أقل وقعاً ودلالة، فطلوع الشمس وغروبها خارقة، وهي معهودة كل يوم. وولادة طفل معجزة، وهي تقع كل لحظة لكن ما ذكر في القصة من مواقف إعجازية غير مألوفة لاشك بأنها ستحدث تأثيرات في نفوس المدعوين أكثر، لذا كان من المهم الاستفادة منها عند الدعوة إلى الله تعالى.

ثاني وعشرون: قدرة الخالق سبحانه وتعالى أعظم من فعل المخلوقين:

---

١ –تفسير البحر المحيط/ للإمام أبي حيان (٥١٢/٨).

٢ –انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه (٣٢٥/١١، ٣٣٤).

٣ –انظر المعنى في : فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ للحافظ بن حجر (٥٢٨/١) وعمدة القاري/ للعيني (١٨٤/٤) وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ للقسطلاني (٤٣٣/١،٤٣٢).

٤ –انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للعلامة السعدي (٦٧٤/٧).

إن قدرة الله سبحانه وتعالى لا حدود لها، وهي تتجلي بصورة دائمة ومستمرة في كل شؤون الحياة المألوفة وغير المألوفة،ولقد افتتحت سورة الفيل ببيان هذه القدرة من خلال قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ** ﴾ (١) قال المفسرون : إن الخطاب لرسول الله ﷺ ، وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة، وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى(٢) وتنكير كلمة (طيراً) في قوله تعالى ﴿ **وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ**﴾ (٣) للتحقير لأنها كانت صغار الجثة وهذا دليل على كمال قدرة الله تعالى (٤).

إن حادثة الفيل أبرزت هذه القدرة الإلهية في غير المألوف للبشر، ويؤكد القاشاني هذه القدرة من خلال هذه الحادثة بقوله: "قصة أصحاب الفيل مشهورة، وواقعتهم قريبة من عهد الرسول ﷺ، وهي إحدى آيات قدرة الله، وأثر سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه، وإلهام الطيور والوحوش أقرب من إلهام الإنسان، لكون نفوسهم ساذجة، وتأثير الأحجار بخاصية أودعها الله تعالى فيها، ليس بمستنكر" (٥). إنها قدرة كبيرة، وتقدير دقيق، من إله عظيم، وإلا كيف يمكن لحيوان أخرس فهم منطق الإنسان المتكلم، "ابرك محموداً وارجع راشداً"، فيبرك الفيل محمود، ويستجيب لهمس نفيل بن حبيب.

---

١ –سورة الفيل / الآية ١.

٢ –انظر: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : للقاضي أبي السعود / (٢٠٠/٩) وتفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٥٩/١٧) البحر المحيط/ لأبي حيان (٥١٢/٨) وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للشيخ السعدي (٦٧٣/٧).

٣ –سورة الفيل / الآية ٣.

٤ –تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان / للعلامة النيسابوري (٥٦٦/٣٠/٦).

٥ –تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل (٦٢٦٦/١٧) والجامع الصحيح للسيرة النبوية / د. سعد المرصفي (ص ٢٩٤).

بل مجيئ طيور صغيرة لا تتعدى كفة اليد، ذات لحم ودم وتحمل حجارة من نار ولا يصيبها أي حرق، ولا يلامسها أي أذى مما تحمله، ثم تقصد قوم دون قوم وتقذفهم بحجارة صغيرة جداً لا تتجاوز حبة الحمص، فتفعل بهم الأفاعيل، في لحظة خاصة محددة بدقة !! إنها قدرة الخالق العظيم سبحانه، التي فاقت عبث المخلوق نفسه.

ثالث وعشرون: الإعجاز القرآني في سورة الفيل:

أثبتت الحقائق والاكتشافات العلمية الحديثة الإعجاز القرآني في سورة الفيل، فمن تأمل أحداث القصة، وتدبر آياتها بدقة، وجد أن هذا الإعجاز فاق المخترعات الحربية المختلفة، فما جاء في سورة الفيل فاق مخترعات الغرب من صواريخ موجهة، وقنابل دقيقة الحجم تنفجر داخل الجسم.

إن هذا الإعجاز سجله القرآن الكريم في سورة صغيرة لا تتجاوز آياتها خمس آيات، إنه إعجاز عسكري متطور، ظهر فجأة في السماء... في صورة طيور صغيرة كأنها قاذفات قنابل أو طائرات "الميج والميراج والسوخوى، تحمل في مقدمتها أسلحة الدمار، متمثلة في حجارة صغيرة صلبة، تمرق بسرعة البرق إلى جسد كل جندي، لتنفجر داخله وتحطمه، تماماً كالتي تحدثه القنابل العنقودية الآن، والتي يفتخر تجار الحرب بصنعها والتفنن في زيادة قدرتها على الدمار، وهم لا يعلمون أن المولى سبحانه خلق ما هو أشد فتكاً في أبسط صورة، وسجلها كتابه العزيز منذ أكثر من ١٤٠٠سنة، وعندما كانت أوروبا غارقة في ظلام الجهل، والتدهور الاجتماعي. وأمريكا لم تظهر بعد على خريطة الدنيا!! بل إن هذا الإعجاز الرباني اكتمل بما يفوق تصورات البشر في ذلك الزمان البعيد، فكل حجر من تلك الحجارة التي أصابت جنود أبرهة كان مكتوباً عليه اسم الجندي الذي سيصيبه، كما ذكر ذلك بعض المفسرين لهذه السورة حيث قالوا: "كان كل طائر في منقاره حجر، وفي رجليه حجران،كل حجر فوق حبة العدس،ودون حبة الحمص،مكتوب في كل حجر اسم مرميه،ينزل على رأسه ويخرج من دبره"(١).

---

١ –تفسير البحر المحيط / للعلامة أبي حيان (٥١٢/٨) وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط/ للنحوي (٥١١/٨) وتفسير أبي السعود/ للقاضي أبي السعود (٢٠٠/٩)

إن هذا الإعجاز ليفوق ما يقوم به "الريموت كنترول" أو التوجيه عن بعد، وهو أرقى ما وصل إليه علم التكنولوجيا في حروبنا الحديثة(١).

ولئن وجد هذا الإعجاز العظيم قبل عصر الرسالة والنبوة في قرآننا الكريم، وتم اكتشافه الآن، فإن هذا الإعجاز سيستمر لأنه "لا نهاية لوجوه إعجازه"(٢) كما عبر عن ذلك السيوطي، اقتداء بقوله تعالى: **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾**(٣) وما على المسلمين إلا كشف الصلة بين نصوص القرآن، وحقائق العلم التجريبي، وما على الدعاة إلى الله تعالى إلا الاستفادة من تلك الحقائق الموجودة في القرآن الكريم، عند استمالة غير المسلمين إلى الإسلام، واقناعهم به، ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك. وما عليهم إلا ملأ النفوس إيماناً بعظمة الله تعالى وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن (٤) وصدق تعالى إذ يقول: **﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾** (٥).

رابع وعشرون: من أساليب الدعوة التوكل على الله:

إن موقف عبد المطلب المشرك وهو يردد: " إن للبيت رباً سيمنعه"(٦) مع قوله: "هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمته"(٧) إن هذا الموقف يوحي للمسلم بوجوب الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والتوكل عليه والثقة بنصره.

---

١ –انظر: مجلة منار الإسلام، العدد ٣ ربيع الأول ١٤١٦هـ، مؤسسة الأهرام– القاهرة، بقلم/ د. محمد أحمد ضرغام.

٢ –معترك الأقران في إعجاز القرآن / للسيوطي (٥/١).

٣ –سورة الأنعام / الآية ٣٨.

٤ –دراسات في علوم القرآن الكريم / أ. د فهد الرومي (ص ٣١٦، ٣١٩).

٥ –سورة فصلت / الآية ٥٢.

٦ –سيرة النبي ﷺ / لابن هشام (٥٠/١) والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١٢٥/٢).

٧ –المرجعان السابقان (٤٩/١) (١٢٣/٢).

فإن كان عبد المطلب يقولها بتلك الثقة والقوة، فماذا يقال للمسلم الذي يغفل عن هذا المعنى؟ عن نصر الله سبحانه لدينه ونبيه، وعباده الصالحين ؟ ما أحوج المسلمين عامة، والدعاة خاصة استشعار عظمة التوكل بالله، والثقة بنصره(١) والاعتصام بحبله المتين وهو القائل سبحانه: **﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾**(٢).

إن هذا الطريق آية من آيات أهل الإيمان الراسخ، فينبغي على الدعاة التمسك به، ليحققوا النصر العظيم باطمئنان وتفاؤل، بعيداً عن كل أسباب السقوط في ظلمة الإحباط والخذلان، يقول سبحانه وتعالى: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾** (٣).

خامس وعشرون: الدعاء وسيلة أساسية في الدعوة إلى الله:

قال بعض المفسرين: إن الله سبحانه وتعالى لما ردّ الحبشة عن مكة، وكفى قريش مؤونة عدوهم– أصحاب الفيل– كان ذلك إجابة لدعاء الخليل عليه الصلاة والسلام (٤).

من هنا وجب التنبيه على موضوع الدعاء كوسيلة دعوية والعناية به، كونه من العبادات الباطنية التي يترجمها اللسان، بل عدها بعض أهل العلم أفضل أنواع العبادات.

ذلك لأن الدعاء في حقيقته يتضمن الذكر، والسؤال، للخالق سبحانه، وهو باب من أبواب الخضوع له سبحانه، (٥) والمؤمنون مطالبون بالتضرع لله تعالى في جميع شؤونهم، فإذا قام عبد المطلب صاحب العقيدة الفاسدة، ومعه نفر من قريش يدعون الله،ويستنصرونه على أبرهة وجنده،قائلاً وهو آخذ بحلقة باب الكعبة(٦).

---

١ –انظر: فقه السيرة/ أ.د. زيد الزيد (ص ٣٩).

٢ –سورة محمد / الآية ٧.

٣ –سورة آل عمران / الآية ١٧٣.

٤ –انظر تفسير البحر المحيط/ لأبي حيان (٥١٢/٨).

٥ –انظرالجامع لأحكام القرآن/للقرطبي(٣٢٧/٨) وروح المعاني/ للعلامة الألوسي (٨١/٢٤).

٦ –انظر: سيرة النبي ﷺ لابن هشام (٥١/١) والروض الأنف/ للسهيلي (٧٠/١) وتاريخ الطبري/لابن جرير الطبري(١٣٤/٢)والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم/للعلامة ابن الجوزي (١٢٥/٢).

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا (١)

وقال أيضاً:

لا هم (٢) إن العبد يمـ نع رحلة فامنع حلالك (٣)
لا يغلبن صليبهم ومحِالهم (٤) غدواً محـالك
إن كنت تاركهم وقبـ لتنا فأمر ما بـدالك

فإذا كان هذا هو حال عبد المطلب وجماعته، فإن المطلوب من الدعاة أعظم، وتحقيق ذلك أولى، لأنهم المخاطبون في الإنابة والتضرع بقوله تعالى: **﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾** (٥).

ما أحوج الدعاة المسلمين لهذه الوسيلة في جميع أمورهم، لتُسَخَّر لهم جنود الله في أرضه من مخلوقات ودواب، وحيوانات، وأدوات نصر.

سادس وعشرون: العدل في النقل عند الدعوة إلى الله تعالى:

الداعية المسلم مبلغ عن الله تعالى ورسوله ﷺ، وهذا البلاغ يعد مشروعاً قائماً إلى يوم الدين.

ومن تمام النعمة لهذه الدعوة الخاتمة، أن قيض الله لها دعاة جهابذة أئمة للمسلمين، لحفظ كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وسائط بين الناس وبين الرسول ﷺ ، يبلغون الناس ما قال، ويفهمون مراده، يقولون: هذا عهد إلينا، ونحن

---

١ –المرجعان السابقان.

٢ –(لاهم) معناها: اللهم لأن العرب تحذف الألف واللام من اللهم (الروض الأنف (٧٠/١)

٣ –(حلالك) معناها: بكسر الحاء جمع حلة، وهي جماعة البيوت، أو القوم المجتمعون أو متاع البيت ((المرجع السابق، وسيرة النبي ﷺ/ لابن هشام "٥١/١")).

٤ –(محالهم) المحال بكسر الميم معناها: القوة والشدة (المرجع السابق).

٥ –سورة غافر / الآية ٦٠.

عهدناه إليكم، وهكذا يتلقاه خالف عن سالف (١) يقول الإمام النووي : "إن سيرة النبي ﷺ، وكلامه، وأفعاله، مجموعة معتنى بها على مر الزمان" (٢).

وإن من أمثال هؤلاء الجهابذة: الإمام البخاري الذي لم يتساهل في إظهار شكه عند روايته (٣) لحديث الفيل، حيث قال: "**إن الله حبس عن مكة القتل أو الفيل**" (٤) رغم أن هذا الشك بين كلمتين (القتل) و (الفيل) حيث لا يترتب على وضع أحدهما أي مفسدة، ولكن يرحمه الله- فطن إلى أن ما ينقله شرع محكم، منسوب إلى النبي ﷺ فاعتنى بإظهار ذلك دون تردد.

وكذا كان الحال مع ابن إسحاق لما قال: " فعرضوا على أبرهة، ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأبى عليهم -والله أعلم أكان ذلك أم لا- فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب"(٥).

ويؤكد الكرماني هذا الدرس بقوله: " على الراوي التنبه على شكه فيما رواه مشكوكاً" (٦) بل وإن من تمام العدل في النقل في هذه الحادثة قيام المؤرخين خاصة بنقل الصفات الحسنة لعدو الله أبرهة دون غبن له، فلقد جاء في وصفه (وكان أبرهة رجلاً حليماً) (٧).

ولما كان الداعية في مقام المبلغ عن الله تعالى ورسوله عليه السلام كان لزاماً عليه أن يراعي الأمانة والدقة في النقل، والعدل في إعطاء كل ذي حق حقه.

---

١ -انظر: حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع / للشيخ النجدي (١٣/١).
٢ -شرح النووي على صحيح مسلم (٦٢/٥/٢).
٣ -انظر: فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري (٢٠٥/١) وعمدة القاري/ للعيني (٢٣٣/٢).
٤ -سبق تخريجه (ص) .
٥ -سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٥١/١).
٦ -شرح الكرماني على صحيح أبي عبد الله البخاري (٤/ ١١٩) وانظر: عمدة القاري / للعيني (٢٣١/٤)
٧ -سيرة النبي ﷺ/ لابن هشام (٤٧/١).

سابع وعشرون: الحذر من الروايات الضعيفة والبعد عن المكذوبة عند الدعوة إلى الله تعالى:

إن رواية أحاديث الرسول ﷺ، ونقلها للمدعوين من الأمور الملازمة للداعية في دعوته، لذا فإن من أوجب الواجبات عليه البعد عن رواية الأحاديث المكذوبة، والواهية عن خير البرية محمد ﷺ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في فضل سورة الفيل، حيث جاء في فضلها أن النبي ﷺ قال: **(من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ)**(١).

ذلك لأن الكذب على الرسول ﷺ ليس كالكذب على غيره، وإن كان الجميع محرماً، وفي صدد تأكيد هذا يقول عليه الصلاة والسلام: **(إن كذباً علي ليس ككذب على أحد)** (٢) لأن في الكذب عليه ﷺ إفساد عقيدة وإبطال عبادة.

يقول الحافظ ابن كثير: "ينبغي التحرز من الكذب كلما أمكن، فلا يحدث إلا من أصل معتمد، ويجتنب الشواذ والمنكرات، وقد قال القاضي أبو يوسف: من يتبع غرائب الحديث كذب" (٣)

إن رواية مثل حديث فضل سورة الفيل يعد مفسدة عظيمة ولو كانت لمصلحة شكلية الدعوة والمدعوين وذلك للآتي:

- فيها كذب متعمد للصادق ﷺ، ومعلوم عظم المعصية المترتبة على ذلك.
- فيها إيحاء بقصور منهج الإسلام الذي لا يستطيع الإيفاء بحاجات المدعوين، ومتطلباتهم.

---

١ –تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ للقاضي أبي السعود (٢٠١/٩) وقال عنه المناوي في الفتح السماوي: موضوع، انظر الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي (١١٢٣/٣).

٢ –صحيح مسلم المقدمة، حديث رقم ٤ (١٠/١).

٣ –اختصار علوم الحديث / للحافظ ابن كثير (ص ٧١).

- أن الناس قد يقبلون على تلك الأحاديث المكذوبة ثقة بالداعية، ولعدم توقع الكذب ممن يوقع عن الله ورسوله، فتصبح تلك الروايات مفسدة لدينهم.

إذا فليتثبت الداعية مما ينسبه إلى الرسول ﷺ حتى لا يقع في الإثم الواردة في قوله ﷺ : **(ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار)** (١).

ثامن وعشرون: على الداعية مراعاة أحوال المدعوين والفروق بينهم:

درس مهم في سورة الفيل، خاصة، وفي سور القرآن الكريم بصفة عامة، فمراعاة المخاطبين منهج أصيل في دعوة الإسلام، حيث غاير الأسلوب المكي في القرآن الكريم عن الأسلوب المدني حسب الحالة التي كانوا عليها. ومعلوم بالاتفاق مكية سورة الفيل(٢) لذلك جاءت آياتها قصيرة الجمل، وبأسلوب القصة، كما تكررت الفواصل، وكثر رنين السجع، وذلك ليتناسب الخطاب مع العامل النفسي للمخاطبين آنذاك، فالقوم في مكة كانوا غير مستقرين، بل كانوا مطاردين قلقه نفوسهم، غير مستعدين لتشريع أو تفصيل، والمشركون أيضاً كانوا منصرفين عن سماع القرآن،متأثرة نفوسهم بأدبهم، قريباً عهدهم بخطبهم المثيرة لوجدانهم، والتشريع يحتاج إلى هدوء ورزانة العقل، وترو في المنطق. رغبة في الإصلاح، وطاعة للأمر، واستجابة للداعي. على عكس من ذلك فإن القرآن المدني اتسم بطول الآيات، وعدم السجع في الغالب(٣).

إن سلوك القرآن الكريم هذا المنهج في تخصيص المدعويين من أهل مكة بخطاب مخالف عن خطاب المدعويين المدنيين، يعطي للداعية درساً لسلوك هذا المنهج، عند توجيه الدعوة لأصناف المدعوين، مع مراعاة عامل الزمان، والمكان، والفروق الفردية بينهم.

---

١ –صحيح البخاري مع الفتح، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ، حديث ١٠ (٢٠٢/١) وصحيح مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ حديث ٣ (١٠/١).

٢ –على سبيل المثال انظر: الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي (١٨٧/٢٠) وفتح القدير/ للشوكاني (٤٨١/٥).

٣ –انظر : القرآن وعلم النفس/ عبد الوهاب حموده (ص ٢٩).

تاسع وعشرون: على الداعية الأخذ بظواهر القرآن لو كانت مخالفة للعلم التجريبي المعاصر:

وردت تفسيرات كثيرة عن طبيعة (الطير الأبابيل) و (الحجارة من سجيل) المذكورة في حادثة الفيل، واختلفت تفسيرات المفسرين عند تفسير الآيتين: الثالثة، والرابعة من سورة الفيل، فمنهم من أخذ بالنص، ومنهم من سلك منهج التأويل الذي أبعد الحادثة عن المنطق، والسياق القرآني، والخصائص العلمية، والطبية (١).

وملخص هذا التأويل الذي لم يعتمد على دليل وحجة وذلك المخل، هو تفسير (الطير الأبابيل) بجنس من الذباب أو البعوض، أو بالريح الشديدة. كما قالوا عن (الحجارة) إنها ذرات التراب التي تحمل ميكروبات وجراثيم الأمراض الثقيلة، وهي الحصبة والجدري.

وقد دفع هذا التفسير المؤول بعض أهل العلم الغيورين إلى مناقشة أهل هذا التأويل بشكل مفصل، أنقل موجزه في الآتي:

١) إن التفاسير المعتمد عليها، وأقوال العلماء فيهاأخذت بظاهر النص، فلا يحتج بغيرهم.

٢) إن القول بأن وباء الجدري هو الذي صدّ أبرهة وجيشه عن مكة معناه تعطيل لسورة كاملة في القرآن الكريم، فالقرآن كان واضحاً في وصفه بأنها طيور ظهرت في جو السماء، بمجموعات هائلة (طيراًۭ أبابيل) أي أنها مخلوقات حيوانية طائرة واضحة للعيان، ولم يعهد في لغة العرب أن يقال

---

١ –ممن أخذ بمبدأ التأويل: الشيخ محمد عبده في تفسيره لجزء (عم)، ومحمد الخضيري، ومحمد حسين هيكل في كتابه(حياة محمد ﷺ)، وطه حسين في (علي هامش السيرة) انظر: الصراع الرهيب حول البيت العتيق للشيخ عبد الله الغوابي (ص ٦٩، ٧٠). وأحمد مصطفى المراغي في تفسيره (٤٩٥/٣٠) والشيخ/ قرني بدوي، انظر: (مجلة المجتمع)، العدد (١١٦) ٢٦ رجب ١٣٩٢هـ الكويت. . وفريد وجدي في (المصحف المفسر)، انظر: مجلة الأزهر السنة ٤٤، ذو الحجة ١٣٩٢هـ، الجزء العاشر.

عن الريح، أو الذباب والبعوض بأنها (طيراً أبابيل) ولا يصح أن يلجأ إلى مثل هذا المجاز ما دامت الحقيقة ممكنة في حق الله تعالى وقدرته سبحانه.

وكذلك ذرات التراب، أو الميكروبات والجراثيم لاتقبل في لغة العرب أن يقال عنها (حجارة من سجيل) فإذا كانت عقول هؤلاء المؤوليين لم تستوعب هذا، وعَدُّوه شيئاً يجب تأويله فكيف بعد هذا يمكن أن تتفق عقولهم وتستوعب وصف الجنة والنار في القرآن الكريم.

٣) أنه لايجب إغفال النص القرآني وتصويراته ، سواء اتفقت مع الطبيعة البشرية أم لا، وما دام أن الأمر من قبل الإعجاز فلا داعي للتكلف وتحميل اللفظ مالا يطيق، والواجب عدم التوقف أمام الخارقة مترددين ولا متؤولين لها، سواء جرت على ما عهد الناس، او ما لم يعهدوا، بل نقبل ونسلم، لأن في المعجز الغير مألوفة دلالة أكمل على القدرة الإلهية من المألوفة للعباد.

٤) أن سورة الفيل نزلت على الرسول ﷺ في وقت كان يعيش فيه من أهل مكة أناس رأو حادث الفيل بأعينهم، وبعضهم من أعداء الرسول ﷺ، فلو لم تكن الطيور والحجارة حقيقية لظهر من العرب من يسارع إلى تكذيب هذه السورة ويعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، وينتهزها فرصة في الكيد من محمد ﷺ، والطعن في دينه.

٥) أنه لا يجوز تضيق النص القرآني على حسب الإنسان أو علمه الضعيف، وجعل القرآن الكريم تابعاً للقضايا العلمية والعقلية، وبالتالي تضيق نطاق الخوارق.

٦) أن الحقائق العلمية، والطبية أثبتت بأن الجدري والحصبة أمراض فيروسية ليست لها قوة الفتك أو القتل السريع بالصورة التي وصفها القرآن الكريم، بل تحتاج إلى فترة حضانة حتى تظهر الأعراض.

٧) وحتى إذا سلمنا بأنها الجدري أو الحصبة فلماذا هلك الأحباش وحدهم ولم يهلك العرب، وأهل مكة بالعدوى (١).

إن هذا التأويل من الأخطاء الكبيرة التي ينبغي للدعاة الحذر منها، فالمسلم مطالب بالأخذ بظواهر القرآن الكريم، وأخذه بها يجعله يسلم من التحريف،والتكذيب بها، وحتى لو كانت مخالفة للمعقولات وقضايا العلم التجريبي المعاصر فيما يظهر لنا،بل وحتى لو سميت حقائق علمية، فإنه لا يلزم الإيمان بها، لأن المؤمن مطالب بالإيمان بنصوص القرآن الكريم وما صح من سنة المصطفى عليه السلام، فهما أقوي وأثبت وثيقة إلى أن تقوم الساعة (٢).

ثلاثون: القصة وسيلة في الدعوة إلى الله:

قصة أصحاب الفيل قصة تحكي تاريخ بداية تأسيس النبوة والرسالة المحمدية على وجه الأرض وتظهر نهاية جبروت وطغيان كاد يدمر أقدس معمورة على وجه الأرض. جاءت القصة وقد أوضحت دوراً مهماً في تثبيت الحق، وتحقق العبرة والعظة، شأنها في ذلك شأن كل قصص القرآن الكريم، كما بين ذلك جل في علاه في قوله تعالى ﴿ **وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (٣).

لهذا كان من المهم للداعية أستغلال أمثال هذه القصة عند الدعوة إلى الله كوسيلة مهمة للأخذ بالمدعوين على طريق النجاة، خاصة وأن القصة أسلوب محبب إلى النفوس البشرية، وتتوافق مع فطرهم الأصلية.

---

١ –انظر: المراجع السابقة، وفي ظلال القرآن/ سيد قطب (٦/٣٩٧٦-٣٩٧٩) والجامع الصحيح للسيرة النبوية / د. سعد المرصفي (ص٢٩٦-٣٠٦). وموضوع القرآن والعقل وحديث المعجزة/ للشيخ محمد متولي الشعراوي، مجلة لواء الإسلام (ص ١٥) العدد ٩ جمادي الأولى ١٤٠٠هـ.

٢ –للاستزادة انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير / د. مساعد بن سليمان الطيار (ص ٦٢، ٦٥).

٣ –سورة هود الآية : ١٢٠.

وتزداد مكانة القصة في نفوس المدعوين إذا كانت واقعاً حقيقياً. كما هو الحال في قصة أصحاب الفيل، حيث أثبتت واقعيتها ومصدقيتها بدلالات مختلفة، فهي سورة في كتاب الله، ورواية في أحاديث صحيحة من سنة المصطفى ﷺ، وقد عاصر رسول الله ﷺ زمن نبوته، وبعد هجرته، جماعة شاهدوا الفيل، والطير الأبابيل منهم: حكيم بن حزام، وحاطب ابن عبد العزى، ونوفل بن معاوية، لأن كل واحد من هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة، منها ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام(١) يقول النيسابوري عند تفسيره لسورة الفيل: "كان بين عام الفيل وبين المبعث نيف وأربعون سنة، وكان قد بقي بمكة جمع شاهدوا تلك الواقعة، وقد بلغت حد التواتر، وإنما عبر سبحانه في قوله ﴿ **ألم تر**﴾(٢) بالرؤية دون العلم، للإيماء إلا أن الخبر بهذا القصص متواتر مستفيض(٣)، فكان له حكم الحقيقة المشاهدة المحسوسة.

١ –تفسر القاسمي المسمى محاسن التأويل (٦٢٦٧/١٧).

٢ –سورة الفيل الآية (١)

٣ –تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥٦٥/٣٠/٦، ٥٦٦) وتفسير المراغي/ لأحمد المراغي (٤٩٤/٣٠).

الخاتمة

النتائج والتوصيات

نتائج البحث وتوصياته

١) سطرت حادثة الفيل في ثناياها مادة دعوية مهمة شملت كل أركان الدعوة ، وبذا أسهمت في إثراء مجال الدعوة إلى الله تعالى .

٢) الدروس المتنوعة في سورة الفيل تم افتتاحها من واقع غير المخاطبين بالدعوة الإسلامية، إلا أنها لا تخرج في بيانها وتوضيحها عما سطرته مصادر الدعوة الإسلامية الأصيلة، مما يعني إمكانية وأهمية الاستفادة منها .

٣) حادثة الفيل والطير الأبابيل هي وإن كانت قبل البعثة إلا أنها جاءت لتؤدي دوراً مهما في أخذ العبرة والعظة شأنها في ذلك شأن كل قصص القرآن الكريم .

٤) الدعوة الإسلامية لا تزال وستظل تعيش تلك المكانة العريضة للشرع الإسلامي الصالح لكل زمان ومكان ، وذلك بدليل الدروس والفوائد الدعوية المستنتجة من حادثة الفيل والتي تتواءم مع مستجدات العصر (فقه الواقع المعاصر) .

٥) الاستفادة من القصص القرآني في تعميق المبادئ الإسلامية .

٦) الاستفادة من الأحداث الموجودة في القرآن الكريم واتخاذها شعلة لانطلاق أمة الدعوة نحو التغيير في واقعها .

٧) تقديم دروس واضحة وحقيقية لا مجرد كلمات عابرة جوفاء لشرائح الدعوة المختلفة .

٨) استشعار القيادات من الدعاة بدورهم الحقيقي في علاقتهم مع الله تعالى أولا ، ثم مع كافة المدعويين من خلال دروس عملية .

٩) ربط الدعاة بسيرة النبي ﷺ وحثهم على الاستفادة منها .

١٠) ربط الداعية كلامه ومواعظه بقصص القرآن الكريم والسنة ، مما يعطيه قوة ، وجدية ، وأصالة لاتناقض فيها.

١١) القيام بخدمة القرآن الكريم ، والسنة والسيرة النبوية وفق منهج علمي سهل وواضح لعامة الناس ، بحيث لا يخرج عن منهج السلف الصالح ، خاصة مع ظهور وسائل التقنيات الحديثة مثل : الانترنت والقنوات الفضائية التي صار يظهر فيها أناس ليس لهم باع في العلم الشرعي .

١٢) إعداد موسوعة دعوية قرآنية ، تعنى بدراسة الفوائد الدعوية في سور القرآن ، أسوة بالدراسة المباركة التي تمت " في صحيح الإمام البخاري " من قبل جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، في قسم الدعوة والاحتساب . أن تقوم جهة أكاديمية بتبني مشروع هذه الموسوعة والإشراف عليها ، لتكون أبحاث لنيل الدرجات العليا .

١٣) أن تقوم جهة معنية بتبني مشروع طباعة هذه الموسوعة لتعميم الفائدة .

١٤) إعداد هذه الموسوعة على أقراص حاسوبية وأشرطة مرئية ومسموعة .

١٥) الحرص على ترجمة هذه الموسوعة إلى لغات عالمية حية .

١٦) تعريف أمة الدعوة بحقيقة المعركة بيننا وبين النصارى وأنها قديمة الجذور .

١٧) العمل مع الأعداء بحذر ووفق منهج مدروس .

١٨) الالتزام بهدي القرآن والسنة النبوية ، ولو كانت صادرة من غير المسلمين.

١٩) أصحاب الفطر المنكوسة قد يمارسون الأخلاق والسلوكيات الإسلامية ويطبقونها ومع ذلك هم غير مأجورين بها .

٢٠) الاستفادة من غير المسلمين في الدعوة إلى الله بشرط ألا تتعارض مع حدود الله تعالى .

هذا وأسأل المنان أن يجعله علما نافعا ، وعملا متقبلا .. اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علماً من عندك ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١) اختصار علوم الحديث/ للحافظ ابن كثير، دار الكتب العلمية-بيروت، ط. الثانية ١٣٧١هـ.

٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ لأبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط. السادسة ١٣٠٤هـ. وطبعة دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط. الأولى ١٤١٦هـ.

٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري/ لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، ضبط: محمد الخالدي دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٤) أصول الدعوة/ د. عبد الكريم زيدان، دار الوفاء، مكتبة القدس بغداد، ط. الرابعة ١٤١٢هـ.

٥) الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام ﷺ. لماذا يكرهونه؟! د. باسم خفاجي سلسلة كتاب البيان ط. الأولى ١٤١٢٧هـ ، الرياض.

٦) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير/ للعلامة أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الثانية ١٣٧١هـ.

٧) البداية والنهاية/ للحافظ أبي الغداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة الرياض الحديثة، ومكتبة المعارف- بيروت، ط. الثانية ١٩٧٧هـ. وطبعة دار هجر- القاهرة، بتحقيق د. عبد الله التركي، ط. الأولى ١٤١٧هـ.

٨) بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها/ لأبي حمزة الأندلسي، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

٩) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر (١) السيرة النبوية/ د. عبد العزيز بن عبدالله الحميدي. دار الدعوة للطباعة والنشر.

١٠) تاريخ الطبري/ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم. دار المعارف- مصر ط. الثانية.

١١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي / للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: د. عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة الرياض الحديثة.

١٢) الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة د. رقية بنت نصر الله نياز- دار إشبلية الرياض ط. الأولى ١٤٢٠هـ.

١٣) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ للقاضي أبي السعود محمد بن محمد العماوي.
١٤) تفسير البحر المحيط/ لأبي حيان الغرناطي دار الفكر للطباعة والنشر، ط. الثانية ١٤٠٣هـ.
١٥) تفسير التحرير والتنوير/ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية- تونس ١٩٨٤م.
١٦) تفسير سورة الفيل ورماية الطير الأبابيل/ د. فهد بن علي العندس، النشر العلمي والمطابع بجامعة الملك سعود ١٤٢٣هـ .
١٧) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للعلامة نظام الدين الحسن النيسابوري ضبطه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الأولى ١٤١٦هـ.
١٨) تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل/ العلامة محمد جمال الدين القاسمي، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- طنطا.
١٩) تفسير القرآن العظيم/ للحافظ أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر- بيروت ١٤٠١هـ.
٢٠) تفسير القرآن العظيم للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير دار الشعب- القاهرة.
٢١) تفسير المراغي/ للأستاذ/ أحمد مصطفى المراغي، تخريج: باسل السود دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.
٢٢) تنزيل القرآن / لمحمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الحديث- بيروت، ط. الثانية ١٩٨٠م.
٢٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد النجار، المؤسسة السعيدية- الرياض.
٢٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول/ لابن الأثير الجزري، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة عبد الحفيظ البساط- بيروت، لبنان ١٣٩٢هـ.
٢٥) الجامع الصحيح للسيرة النبوية/ د. سعد المرصفي. مؤسسة الريان- بيروت، مكتبة المنار الإسلامية- الكويت ، ط. الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦) الجامع الصحيح المختصر/ للإمام أبي عبد الله البخاري، تحقيق: د.مصطفى البغا، دار ابن كثير- بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٧هـ.

٢٧) الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي، تحقيق أحمد البردوني، دار الشعب- القاهرة، ط. الثانية ١٣٧٢هـ.
٢٨) الجامع لأحكام القرآن/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي. دار إحياء التراث العربي- بيروت ، لبنان تاريخ الطبعة ١٩٦٧م.
٢٩) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع/ للشيخ عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، مؤسسة بساط، ط. الثانية ١٤٠٣هـ.
٣٠) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى/ د. سعيد بن علي القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، ط. الأولى ١٤٢٣هـ.
٣١) دراسات في علوم القرآن الكريم/ أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي، الرياض ، المملكة العربية السعودية، ط. الثالثة عشرة ١٤٢٥هـ.
٣٢) الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها د. أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللباني- بيروت، ط. الثانية ١٤٠٧هـ.
٣٣) دعوة الفطرة/ أ.د. يوسف أبو هلالة ، دار العاصمة- الرياض، ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٤) الرحيق المختوم/ للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، دار السلام، ومكتبة المؤيد- الرياض، ط. التاسعة ١٤١٢هـ.
٣٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للعلامة الألوسي البغدادي دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان، ط. الرابعة ١٤٠هـ.
٣٦) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام/ لأبي القاسم عبدالرحمن السهيلي. دار المعرفة- بيروت، لبنان. ١٣٩٨هـ.
٣٧) زاد المعاد في هدي خير العباد/ للإمام ابن قيم الجوزيه، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وزميله مؤسسة الرسالة- بيروت، ط. الثالثة عشرة ١٤٠٦هـ.
٣٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية/ أ. د. مهدي رزق الله أحمد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ط. الأولى ١٤١٢هـ.
٣٩) السيرة النبوية / لمحمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الثانية ١٤٠٢هـ.
٤٠) سيرة النبي ﷺ/ لأبي محمد عبد الملك بن هشام. مراجعة: الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد- الرياض.

٤١) شرح الكرماني على صحيح أبي عبد الله البخاري/ لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء تراث العربي–بيورت ١٤٠١هـ.

٤٢) شرح النووي على صحيح مسلم/ لمحيي الدين أبي زكريا يحيى النووي، دار الريان– القاهرة.

٤٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان/ للعلامة الفارسي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة– بيروت الطبعة ٣ ١٤١٨هـ.

٤٤) صحيح البخاري مع فتح الباري/ لأبي عبد الله البخاري، تحقيق: سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز. نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد– المملكة العربية السعودية.

٤٥) صحيح مسلم/ لأبي الحسين مسلم النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، دار الفكر– بيروت. رئاسة ادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– المملكة العربية السعودية ط. الثانية ١٣٩٨هـ.

٤٦) الصراع الرهيب حول البيت العتيق/ للشيخ عبد الله الغوابي الدار الفنية– مصر.

٤٧) عمدة القاري شرح صحيح الإمام البخاري/ لبدر الدين محمود العيني، دار إحياء التراث العربي– بيروت، بدون رقم طبعة.

٤٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري/ للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة– بيروت ١٣٧٩هـ. ونسخة أخرى بتحقيق سماحة العلامة عبد العزيز بن باز، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد– المملكة العربية السعودية. (تقدمت رقم ٦٨) .

٤٩) الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي/ لعبد الرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد مجتبي السلفي، دار العاصمة– الرياض ١٤٠٩هـ.

٥٠) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية/ لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة، ودار الفكر، بيروت، لبنان.

٥١) فقه الدعوة إلى الله/ د. علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء– مصر ط. الثالثة ١٤١٢هـ.

٥٢) فقه الدعوة في صحيح البخاري للباحثة/ رقية بنت نصر الله محمد نياز رسالة دكتوراه– تحت الطبع ١٤١٨هـ. إشراف فضيلة الشيخ أ.د. زيد بن عبدالكريم الزيد.

٥٣) فقه السيرة/ أ. د. زيد بن عبد الكريم الزيد، دار التدمرية ط. الثانية ١٤٢٧هـ المملكة العربية السعودية.
٥٤) في البناء الدعوي/ أحمد بن عبد الرحمن الصويان، سلسلة كتاب المنتدى الإسلامي لمجلة البيان. ط. الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٥) في ظلال القرآن / سيد قطب دار الشروق – بيروت، القاهرة ط. الخامسة ١٣٩٧هـ.
٥٦) القرآن وعلم النفس/ أ. عبد الوهاب حموده سلسلة المكتبة الثقافية، نشرة وزارة الثقافة– القاهرة.
٥٧) قصة البيت الحرام/ د. محمد بن عبد الله بن إبراهيم الخرعان. دارإشبليا– الرياض ط. الأولى ١٤٢٠هـ.
٥٨) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم ١٣٩٨هـ.
٥٩) المدخل إلى علم الدعوة/ أ. د. محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة– المدينة المنورة. ط. الثانية ١٤١٤هـ.
٦٠) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور/ للبقاعي، تحقيق: د. عبدالسميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف– الرياض ١٤٠٨هـ.
٦١) معترك الأقران في إعجاز القرآن/ جلال الدين السيوطي. تصحيح: أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية – بيروت ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
٦٢) مفاتيح الغيب/ لفخر الرازي مكتبة الإيمان– القاهرة ١٤١٢هـ.
٦٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم/ للحافظ القرطبي/ دار ابن كثير، والكلم الطيب– دمشق، بيروت، ط. الأولى ١٤١٧هـ.
٦٤) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير/د. مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث– الرياض ط. الأولى ١٤٢٥هـ.
٦٥) من أشراط الساعة الكبرى لمحمد بن إبراهيم الشيباني. مكتبة ابن تيمية– الكويت، ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
٦٦) النبي الكريم ﷺ ملعماً / أ. د. فضل الهي. إدارة ترجمان الإسلام حجر أقواله– باكستان مؤسسة الجريسي– الرياض. ط. الأولى ١٤٢٤هـ.
٦٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ لابي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي. راجعه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية– بيروت، لبنان.

٦٨) المنتقي من السنن المسندة/ لابن الجارود، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتاب الثقافية- بيروت، ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
٦٩) منحة الباري بشرح صحيح البخاري، المسمى تحفة الباري/ للشيخ أبي يحي الأنصاري تحقيق: سليمان العازمي، مكتبة الرشد- الرياض، الأولى ١٤٢٦هـ.
٧٠) منهاج السنة النبوية/ لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض ط. الأولى ١٤٠٦هـ.
٧١) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم/ للإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، تحقيق: د. عبد الغفار البغدادي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط. الأولى ١٤٠٦هـ.
٧٢) الناسخ والمنسوخ/ لهبة الله ابن سلامة المقري، تحقيق: زهير الشاويش ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي- بيروت، ط. الأولى ١٤٠٤هـ.
٧٣) الدوريات والمجلات.
٧٤) مجلة أرض الإسراء، العدد ١١٨ شوال ١٤٠٨هـ / ص ١١) موضوع بقلم المحامي: زهير أبو الراغب.
٧٥) مجلة الأزهر، الجزء العاشر (ص السنة ٤٤ ذو الحجة ١٣٩٢هـ).
٧٦) مجلة الحرس الوطني، العدد ٧٠ (ص ٤٥) ذو الحجة ١٤٠٨هـ.
٧٧) مجلة لواء الإسلام- القاهرة العدد ٩ جمادي الأولى ١٤٠٠هـ السنة الرابعة والثلاثون.
٧٨) مجلة المجتمع- الكويت، العدد ١١٦، ٢٦ رجب ١٣٩٢هـ.
٧٩) مجلة منار الإسلام، العدد ٣ ربيع الأولى ١٤١٦هـ، مؤسسة الأهرام- القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضـوع	رقم الصفحة
مقدمة في: بيان أهمية البحث، سبب اختياره	٢٠٣
القسم الأول: توثيق القصة كما وردت في مصادرها المختلفة	٢٠٨
القسم الثاني: الفوائد والدروس الدعوية	٢١٩
الخاتمـة:	٢٦٢
فهرس المصادر والمراجع:	٢٦٤
فهرس الموضوعات:	٢٧٠